أَلتَّوْشِيحُ

(دراسَةٌ بلاغيَّةٌ في تِقْنيّاتِ الأُسْلوبِ القُرآنيِّ)

د.أسعد جواد يوسف

كلية الاداب –جامعة القادسية– العراق

فحوى البحث

بحث قيم يخوض إحدى تقنيات الاسلوب القرآني و هو (فن التوشيح) الذي يعد أحد وجوه الإعجاز البلاغي للقرآن الكريم و قد جرى البحث ضمن سياق منهجي بدأ بالوقوف على مفهوم (التوشيح) وحَدِّهِ (تعريفه) في اللغة والاصطلاح ثم بيان قيمته البلاغية و أهميته الجمالية. و قد جرى البحث على تفريعات كل قسم من اقسام التوشيح و السياقات القرأنية للآيات المتضمنة بنية التوشيح وتحليلها تحليلاً علمياً دقيقاً وصولاً الى المعنى المستفاد منها من خلال سياق الآية الكريمة.

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمدُ لله الذي نَزَّل القرآنَ على حبيبه، وأَلْهَمَ ورثتَهُ تدبُّر معانيه وغريبه، وأفضلُ الصلاةِ وأتمُّ السلام على نور اليقين وسيد المرسلين أبي القاسم محمدﷺ نبيّ الثقلين، وعلى آله الطيِّبين الطاهرين وصحبِهِ المنتَجبين ومَن تَبِعَهُم بإحسانٍ إلى يوم الدين.

أمَّا بعد:

فإنَّ أفضلَ العلم بعد العلم باللهِ عَزَّ وجلَّ، العلمُ بكتابِهِ تعالى، لأنَّهُ مَحَلُّ التَدَبُّر وغاية التأمُّل، فهو الشِرْعَةُ والمنهاجُ، والسِراجُ الوهَّاج.

وبعد اطّلاعي على فنونِ البلاغة العربية في بطون المصنفات القديمة منها والحديثة، وإطالة التدبُّر في آياتِ القرآن وأساليبه -ولا سيما البديعية منها- عَنَّت لي ظاهرةٌ أسلوبيةٌ قوامُها موسيقا الفواصل القرآنية، فوجدتُ نفسي تواقةً إلى دراسة هذا الضرب من الفنون، فاخترتُ فَنًّا منها بِكرًا لم تُخَبِّرهُ أقلامُ الباحثين المعاصرين- على وفق ما تيسَّر لي من مظان في هذا الباب-أَلاَ وهو (التوشيح)، فجعلتُهُ موضوعًا لهذا البحث الذي سَمَّيتُهُ («التوشيح» -دراسة بلاغية في تقنيات الأسلوب القرآني -). وكانت دراستي لهذا الأسلوب دراسةً وصفيةً تحليليةً للثنائيات التوشيحية المتقابلة، وذلك على وفق مستَوَيَي (السطح) و(العمق)، فضلاً عن أنها تقوم على استجلاء القيم الجمالية والفنية من الأسلوب نفسه، والوقوف على المناسبات المعنوية التي تؤلف لَبِنَةً هامّة في بنية التوشيح، وهو ما يؤكد خَطَلَ ظنِّ كثيرٍ من أرباب البلاغة بِوَهْنِ قيمة البديع، وحصره في حقل الحِلْية وزخرف القول حسب.

وبعد الوقوف على مفهوم (التوشيح) وَحَدِّهِ في اللغة والاصطلاح -وبيان خَلْطِ البلاغيين بينه وبين بعض فنون بديعية أخرى قد تتشابه معه بوجه من الوجوه نحو (الإرصاد) أو(التسهيم) و(التصدير)- تناولتُ التكوين البنائي له، وبيّنتُ قيمته البلاغية وأهميته الجمالية، وَلِيَ ذلك تقسيمُه على قسمين رئيسين حملا على نوع التقابل المتحقق في بنيته في الآية الكريمة -في ما إذا كان العنصران المتقابلان فيها متضادين،

أو متناظرين –فكانا: (التوشيح بالتضاد)، و(التوشيح بالتناظر)، مُرْدِفًا إيَّاهما بخاتمة تفصِحُ عن أهم النتائج التي توصلت إليها، فجريدةٍ بمصادر البحثِ ومراجعِهِ.

وفي ما يتعلق بمجيء القسمين المذكورين على وفق هذا الترتيب، فقد عمدتُ إلى مبدإ الشيوع الذي يقضي بتقديم الحقل الموضوعي المتضَمِّنِ مصاديقَ كثيرةً تطبيقيةً من الشواهد، على حقل موضوعي آخر يقلُّ فيه ذلك، ولأجل ذلك فقد قَدَّمتُ (التوشيح بالتضاد) على (التوشيح بالتناظر)، حَمْلا على كثرة ورود الشواهد القرآنية عليه موازنةً مع القسم الآخر الذي قَلَّت فيه الشواهد عنه.

وقد جَرَى هذا المنهج على تفريعات كل قسم من القسمين المذكورين نحو نوع الصيغة اللفظية للعنصرين المتقابلين في بنية التوشيح من جهة التوافق بينهما أو التخالف، فضلا عن صور حركة المتقابلين، والسياقات القرآنية للآيات المتضمنة بنية التوشيح، وتحليل هذه البنية تحليلا علميًا دقيقًا وصولا إلى المعنى المستفاد منها من خلال سياق الآية الكريمة.

هذا ما استطعتُ بذلَهُ مِن جَهْدٍ وحسبي أنِّي أبذلُهُ وأنا في حِدْثانِ أمر العلم وغُرَّتِه ؛ لأقدِّمَهُ عَمَلا ضَهْلا بينَ غَدَقِ يَدَي كرامِ العلماءِ، ودَرُورِهِمَا فَضْلا وَرَحمةً وتقويمًا وتصويبًا، وعلى اللهِ التوكّل، ومنه السداد.

التَّوشِيح

التوشيحُ فنٌّ من الفنون البديعية التي تعتمد –في إيجاد المناسبة بين ركني بنيتها– على تلاحم موسيقا إيقاع القافية في الشعر، أو السجعة في النثر، أو الفاصلة في القرآن، مع مبتدإ الكلام، وهي بنية إرصادية غالباً ما يحضر فيها الدال ليرهصَ دالاً آخر مختلفاً معه على وجه التضاد أو متفقاً معه على وجه التناظر مع الاختلاف في الصورة.

والتَوشِيحُ في اللغة: (تَفْعِيلٌ) من وَشّحْتُ المرأة توشيحاً وتَوَشَّحَتْ واتَّشَحَتْ هي أي لَبِسَتْهُ، ومنه أُشْتُقَّ تَوَشُّح الرجلِ بالثوب أو السيف، وعلى ذلك يكون التوشيح محمولاً على الوشَاح أو الإشاح أو الوُشَاح[1] وهو ((كُلُّهُ حَلْيٌ

(١) ينظر: لسان العرب (لابن منظور): ٢/ ٦٣٢ (وشح).

النساء، كِرْسانِ من لؤلؤ وجوهر منظومان مُخَالَفٌ بينَهما معطوفٌ أحدهما على الآخر، تتوشَّحُ المرأة به،... والجمعُ أوشِحَةٌ ووُشُحٌ ووشَائحُ))[٢]، والتَوشُّح بالرداء مثل التأبط والاضطباع، أي أن يُدخِلَ المرءُ ثوبَهُ من تحت يده اليمنى فيعطفه على مَنْكِبِه الأيْسَر كما يفعلُ المُحْرِم، ومثل ذلك يصدق على التَوَشُّح بَحمائل السيف[٣].

أمّا التوشيح في الاصطلاح، فنجد أنّ أقدم حَدٍّ واضحٍ له كان لدى قدامة بن جعفر (ت٣٣٧هـ) إذ جعله من أنواع ائتلاف القافية مَعَ ما يدلُّ عليه سائر معنى البيت، وحَدَّهُ بقوله: ((التوشيحُ وهو أنْ يكونَ أوّلُ البيتِ شاهِداً بقافيتِهِ ومعناها متعلقاً به حتى إنَّ الذي يعرفُ قافية القصيدة التي البيتُ منها إذا سَمِعَ أوّلَ البيت عَرفَ آخره وبانت له قافيتُهُ))[٤] وإلى هذا المعنى ذهب أبو هلال العسكري (ت٣٩٥هـ)[٥]، وآخرون[٦]، وإلى ذلك أيضاً ذَهَبَ ابن أبي الإصبع المصري (ت٦٥٤هـ) غير أنَّه لم يقصر هذا الفن على الشعر حسب، بل تعدَّاه إلى النثر، فضلاً عن أنه اشترط التجنيس في الدالين أو أن يأتي الدالُّ الثاني من لوازم لفظ الدالّ الأول، وذلك في قوله: ((أن يكونَ في أوّل الكلام معنًى إذا عُلِمَ عُلِمَتْ منه القافيةُ إن كان شِعراً، أو السجعُ إن كانَ نثراً، بِشَرط أن يكونَ المعنَى المتقدّم بلفظه، مِن جنس معنى القافية، أو السجعة بلفظِهِ، أو من لوازِم لفظِهِ))[٧] وإلى هذا المعنى ذهب بعضٌ من أرباب البلاغة[٨]. أمّا وجه العلاقة الاشتقاقية بين التوشيح في الاصطلاح والتوشيح في اللغة فمحمولٌ على حركة

(٢) المصدر نفسه: ٢/ ٦٣٢ (وشح).
(٣) المصدر نفسه: ٢/ ٦٣٣ (وشح).
(٤) نقد الشعر (لقدامة بن جعفر): ١٦٧.
(٥) ينظر: كتاب الصناعتين (لأبي هلال العسكري): ٣٩٧.
(٦) ينظر: سر الفصاحة (لابن سنان): ١٥٢، والمصباح في المعاني والبيان والبديع (لابن الناظم): ٧٤، وخزانة الأدب وغاية الأرَب (لابن حجة الحموي): ٢/ ٢٠٣، وأنوار الربيع في أنواع البديع (لابن معصوم): ٣/ ٣٢.
(٧) بديع القرآن (لابن أبي الإصبع المصري): ٩٠.
(٨) يُنظر: حُسن التوسل الى صناعة الترسُّل (لشهاب الدين الحلبي): ٢٥٩ -٢٦٠، وخزانة الأدب وغاية الأرب: ٢/ ٢٠٣-٢٠٤، وأنوار الربيع في أنواع البديع: ٣/ ٣٢.

التفاف الوشاح على العاتق والكشح إذ ((... يتنَزَّل المعنى فيه بمنزلة الوشاح، ويتَنَزَّلُ أوّل الكلام وآخره منزِلةَ العاتِق والكشح اللَّذَين يجولُ عليهما الوشاح))[٩].

القيمة البلاغية للتوشيح

تكمن القيمةُ البلاغيةُ لهذا الفن في تحقيق عنصر التواصل الذهني مع النص الذي فيه بنية التوشيح؛ وذلك بسبب من تعاقب الإيقاعات الموسيقية المتماثلة مع الركن الثاني في البنية المذكورة، سواء أكانت هذه الموسيقا قافيةً أم سَجعةً أم فِقْرَةً أم فاصلةً، فكل هذا -فضلاً عن التداعي المتحقق بين الثنائيات اللفظية المتضادة في بنية التوشيح -هو ما يُوَلِّد الثقة في نفس المتلقي بأنّه أحْسَنَ (التوقُّع Expectation) في كشف ما ينبغي أن ينتهي إليه الكلام مما يقع في دائرة التناسب بعد أن تتوافد على ذهنه وسمعه موسيقا خواتيم الكلام المتماثلة من جهة وزنها العروضي أو القافية وأركانها.

إنَّ هذا اللون البديعي يجعل المتلقي حادَّ الذهن، مُتَهَيِّئًا لصحة التوقُّع، ذكيَّ الإحساس مُرهَفَهُ، شديدَ التذوق للنص، متصلاً به بِتَوقُّدِ ذهنٍ وفطنةٍ، وسرعةِ خاطر[١٠]، وأثَرُ كلِ ذلك نَشْوَةٌ في نفس المتلقي لَمَا تحقق له من صحةٍ في التوقّع، وتواصلٍ ذِهْنِيٍّ مع النص الذي يَتَلَقَّاه، وثمة فنون أخرى تشترك إلى حد ما مع هذا الفن في خِصِّيصَى (التوقّع) و(التداعي) التي تُحدثها الموسيقا في السامع ومنها (الإرصاد=التسهيم)[١١]، و(رد الأعجاز على الصدور=التصدير)[١٢]، و (التمكين)[١٣]. وهذه الخِصِّيْصَى المنبجسةُ من موسيقا الفنون المذكورة يبدو أنَّها هي السبب في حصول تداخل هذه الفنون

(٩) خزانة الأدب وغاية الإرب: ٢/ ٢٠٣.

(١٠) ينظر: وشْي الربيع بألوان البديع: ٥١-٥٢، وعلم البديع ودلالات الاعتراض في شعر البحتري -دراسة بلاغية -(د. مختار عطية): ٦٠، ومعاني التكرار النفسية لفنون البديع في القرآن الكريم -(أطروحة دكتوراه) -أسعد جواد: ٣٣٢.

(١١) يُنظر: معاني التكرار النفسية لفنون البديع في القرآن الكريم -(أطروحة دكتوراه)- أسعد جواد: ٣٣٢.

(١٢) ينظر: المصدر نفسه: ٣٥٩.

(١٣) ينظر: خزانة الأدب وغاية الأرب: ٢/ ٢٠٧، و٤/ ٣٤١.

لدى بعض أرباب البلاغة.

التوشيح في القرآن الكريم

لّما كان التوشيح ظاهرةً أسلوبيةً لها حَظٌّ من الذكر في كلام العرب -ومنها الشعر بخاصة -حظي القرآن به أيضاً، غير أنّ ورودَهُ فيه كانَ قليلاً، وهو أمرٌ يرجع إلى حاجة القرآن إليه في الاستعمال للتعبير عن أمر ما، لا يتحقق من دونه.

وقد وردَ هذا الفن في القرآن الكريم في (١٦) موضعاً، جاء (١٤) منها من نوع (التوشيح بالتضاد)، أمّا الموضعان الآخران فكانا من نوع (التوشيح بالتناظر)، ولَم يذكرْ أحدٌ من البلاغيين هذا التقسيم الثنائي لفن التوشيح، ولكنَّ استقرائي لشواهد هذا الفنّ قادني إلى هذا التقسيم. وفي ما يأتي تفصيل لذلك:

- التوشيح بالتضاد:

المقصود بالتوشيح بالتضاد هو مجيء دَالَّي التوشيح متقابلين تقابل تضاد، واللفظان المتضادان هما ((الشيئان لا يجوز اجتماعهما في وقت واحدٍ كالليل والنهار))[١٤]، و(الأسود والأبيض)، و(الطويل والقصير)، و(الخير والشر) وهلم جرّاً.

وقد وردَ هذا النوع من التوشيح في القرآن الكريم في (١٤) موضعاً منه، وكانت صيغة الدالَّين المتضادَّين فيه على نوعين: فعليةٍ واسمية، وكانَ التوافق الصيغي بين دَالَّي كلّ نوعٍ منهما هو الأكثر شيوعاً فيهما كما هو مُبيَّنٌ في ما يأتي:

الأول:- التوافق الصيغي: جاء هذا التوافق على نوعين وهما:

١. التوافق الفعلي:

ضمَّ هذا النوع من التوافق -بين دَالَّي بنية التوشيح في القرآن الكريم -(١٠) عَشْرَ ثنائيات توشيحية، منها ما تَضَمَّنَ (بعداً عقائدياً) ارتبطت العناصر المتقابلة فيه بآصرة (رتبة زمنية) كما في الثنائيات: [(يستأخرون≠ يستقدمون) [٤]، و(يتقدِّم ≠ يتأخر) [١]، و(قَدَّمَ ≠ أخَّر) [١]=[٦][*] و (تمسُون ≠ تصبحون) [١]، وآصرة (كلامية) كما في الثنائيات:

(١٤) مقاييس اللغة (لابن فارس): ٥٧٤ (ضدد)، وينظر: المفردات في غريب القرآن (للراغب الاصفهاني): ٢٩٦ (ضد).

(*) الرقم بين معقوفتين [] يشير إلى عدد مرات الثنائيات المتقابلة.

[(يُسِرُّون ≠ يُعلنون)[٢]، و(تُسِرُّونَ ≠ تُعلِنُون)[١]] = [٣].

وجاءت الثنائيات المذكورة على وفق صور حركة التقابلات التوشيحية الآتية:

أ. التحديد والتعيين:

والمقصود بهذه الصورة عدم نزوع الدالَّين المتقابلين أحدهما نحو الآخر في بنية التوشيح ويكون المراد من ذلك إمّا المنطقة الوسطى الفاصلة بينهما فَصْلاً دقيقاً كما في التقابل الحاصل بين (لا يستأخرون≠ لا يستقدمون) وهو الأجل الدقيق المحدد بينهما.

وإمّا استقلال كلِّ دالٍّ منهما بنفسه عن الدَّال الآخر كما في التقابل الحاصل بين (تمسون ≠ تصبحون)، أي وقت المساء ووقت الصباح تحديداً.

وقد وَرَدَ التقابل الأول (لا يستأخرون≠ لا يستقدمون) بنيةً توشيحيةً (٤) مرات في القرآن الكريم ضمن سياق:

- الوعيد والتهديد[١٥] بتحديد الأجل الدقيق غير المحيد عنه: قال تعالى: ﴿وَلِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ ۖ فَإِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ ﴾[١٦] [سورة الأعراف: ٣٤]. فقد تكونت بنية التوشيح في الآية من الدالَّين (يستأخرون) و(يستقدمون)، وهما دالّان متخالفان في المستويين السطحي والعميق، فالدالّ (يستأخرون) من التأخُّر وهو في اللغة ضد التَقَدُّم، وكذا مؤخّرُ كُلِّ شيء فهو ضدُّ مقدّمِهِ وخِلافُهُ[١٧].

وعلى الرغم من تخالف الدالَّين في المستويين المذكورين غير أنَّنا نجدُ ثمة توافقاً متحققاً في المستوى السطحي من جهة صيغتهما ووزنهما الصرفي ودلالتهما الزمنية، إذ وردَ كلٌّ منهما فِعْلاً من الأفعال الخمسة مزيداً بحرف السين للدلالة على طلب (التقديم) أو طلب (التأخير)، وهو ما يدل عليه معنى الوزن (استفعل)[١٨]

(١٥) يُنظر: الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل(للزمخشري): ١/ ٧٧، و٢٤٠، و٤١٥، و٣/ ٢٩٠، البحر المحيط (لأبي حيان): ٥/ ٤٥.

(١٦) ينظر: [سورة يونس: ٤٩]، و[سورة النحل: ٦١]، وسورة سبأ: ٣٠].

(١٧) ينظر: لسان العرب: ٤/ ١٢ (أخر).

(١٨) ينظر: شذا العرف في فن الصرف (أحمد الحملاوي): ٤٤.

وكان لهذا التماثل الحاصل في جزء من المستوى السطحي للدالَّين المذكورين (يستقدمون ≠ يستأخرون) أثره الواضح في تحقيق بنية التوشيح، إذ يُعَدُّ ذلك عاملاً مساعداً في استحضار الدال المتوقَّع في ذهن المتلقي، على الرغم من قدرة الذهن على تحقيق ذلك عن طريق تداعي الأضداد بَعْضِها لبعض عندما تتوسط الدالَّين (نقطةُ الإرشاد أو الاستدعاء)، فما إنْ يطرقُ الدال الأوّل (لا يستأخرون) مسامعَ المتلقي- حتى إذا ما وصل إلى (نقطة الاستدعاء) المتمثلة بحرف العطف (الواو) وتكرار حرف النفي (لا) أي (وَلا) -يقفز إلى الذهن مباشرة الدالُّ الآخر (يستقدمون) الموافق له في الصيغة والوزن والزمن.

وعلى ذلك تكون بنية التوشيح قد تحققت من ثلاث جهات: الأولى: حركة التضاد نفسها، أي استدعاء الذهن للَّفظ الضد عندما يُذكَرُ ما هو ضدٌّ له، وهي حركة دائرية مستمرة، فالدال (لا يستقدمون) يُحضِرُ في الذهن دالاً له مضاداً وهو (لا يستأخرون)، وهذا الأخيرُ يُحْضِرُ الدالَّ الأول وهكذا في صورة حركة دائرية تشبه صورة حركة الوشاح الذي اشتُق منه مصطلح (التوشيح). والثانية: موسيقا دَالِّي بنية التوشيح بالتضاد المتمثلة بالتوافق الصيغي للدالَّين، كما في المماثلة الصياغية التامة بين الدالين المذكورين (يستأخرون = يستقدمون) من جهة، واستحضار موسيقا فواصل الآيات الأخرى التي تقدمت بنيةَ التوشيح من جهة أخرى، لاسيما إذا عرفنا أنَّ هذه الفواصل قد جاءت موافقةً للدال الثاني في بنية التوشيح من جهة وزنها العروضي الذي هو (فاعِلان: -ب-٥) وهي تفعيلة مذيّلة(*) من التفعيلة (فاعِلُن-ب-) أو (فاعِلاتْ-ب-٥) التي هي تفعيلةٌ مقصورة(**) من التفعيلة (فاعِلاتن -ب-)، ومن جهة رويّها المتمثل بحرف (النون)، وردفِه المتمثل بحرف (الواو) المَدِّي، نحو («يَعْلَمُون»،

(*) التذييل: زيادة حرف ساكن على ما آخرهُ وتدٌ مجموع (ينظر: الكامل في العروض والقوافي، محمد قناوي): ٦٢).

(**) القَصْر: هو إسقاط ساكن السبب الخفيف من آخر التفعيلة وتسكين ما قبله (ينظر: الكافي في العروض والقوافي «لابن الخطيب التبريزي»): ١١٦، ١٤٤.

و«تعلمون» و «يَحْزَنون»)[١٩]، فإذا حذفنا السبب الخفيف من أوّل (يَسْتَأخِرُون) و(يَسْتَقْدِمُون) وكلاهما على الوزن العروضي (مُسْتَفعِلان--ب -٥) وهي تفعيلة مذيَّلة من (مستفعلن) تصبحان: (تَأْخِرُوْن) و(تَقْدِمُونْ) على وزن (فَاعِلانْ)، أمَّا إذا أخذنا سبباً خفيفاً ممَّا هو قَبْل الفواصل مثل: («م يعلَمُون»، و «لا تَعْلَمون»، و «هُمْ يَحزَنونَ»)[٢٠] فتصير جميعها على الوزن (مُسْتَفْعِلانْ) الذي هو وزن (يَستأخِرون)، و(يستقدمون). أمّا ما يُستفادُ من التوشيح في الآية المذكورة فيكمن في قدرته على تحفيز ذهن المتلقي على استحضار الدال الآخر المؤلف فاصلة في الآية بعد معرفةٍ بموسيقا فواصل السورة السابقة لها، فضلاً عن أنَّ هذا التضاد المتحقق في بنية التوشيح في هذه الآية يُشعِرُ بغَلْقُ دائرة الرجاء بالنسبة إلى الكافرين ونفي تحقيق تقديم الأجَل أو تأخيره، وتيئيسهم من ذلك، وصيغة (الاستفعال) ههنا مُشعِرٌ دلالي بذلك العجز والحرمان[٢١].

أمّا التوشيح (تُمسون ≠ تُصبحون) فقد وردَ مرة واحدة في القرآن الكريم وذلك في سياق:

- التكليف بأداء الفعل العبادي: وهو حث العباد على التسبيح المتمثل بأداء صلوات مخصوصة في أوقات مخصوصة، أو على معنى التنزيه والتعظيم[٢٢].

قال تعالى: ﴿ فَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ حِينَ تُمْسُونَ وَحِينَ تُصْبِحُونَ ﴾ [سورة الروم: ١٧].

المساء والإمساء: ضدُ الصَّباح والإصباح[٢٣]. وحُدِّدَ وقت الصبح في الفَجْرُ أو أوّل النهار[٢٤]. فإذا كانَ المرادُ من التسبيح هو ذلك الذِكْر المخصوص

(١٩) ينظر: سورة الأعراف: فواصل الآيات: ٣٢، و٣٣، و٣٥.

(٢٠) ينظر: سورة الأعراف: فواصل الآيات: ٣٢، و٣٣، و٣٥.

(٢١) يُنظر: إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم (لأبي السعود العمادي): ٢/ ٤٩٠.

(٢٢) يُنظر: الكشاف: ٣/ ٢١٧، ومفاتيح الغيب (للرازي): ٩/ ١٠٤ -١٠٦، وأنوار التنزيل (للبيضاوي): ٢/ ٢١٨.

(٢٣) ينظر: لسان العرب: ٥/ ٢٨١ (مسا).

(٢٤) ينظر: المصدر نفسه: ٢/ ٥٠٢ (صبح).

بأوقات الصلاة، فإنّ هذا الفعل سيكون مخصوصاً بصلاتَيْ (المغرب والعشاء) اللّتين ذُكِرَتَا -تَضَمُّنًا -باللفظ (تُمسُون)، وصلاة الفجر التي ذُكِرَت باللفظ (تُصبِحونَ).

ويُلحِظُ أَنَّ بنية التوشيح في الآية المذكورة قد تكونت من الدالّين (تُمسون) و(تُصبحونَ) اللّذين وردا متخالفين تخالفَ تضادٍّ في المستويين السطحي والعميق، غير أنَّ ثمة توافقاً جزئياً نجدهُ متحَققاً في المستوى السطحي من جهة الصيغة، كون كل واحدٍ منهما قد وردَ فِعْلا من الأفعال الخمسة يعود الضميرُ فيه على المُخَاطَبِين المكلَّفين وتقديره (أنتم)، ومجيء الدالين على الصيغة الفعلية المذكورة يُشعِرُ باستمرار أداء فعل التسبيح في أوقات مخصوصة كل يوم، مهما كان المعنى المراد من التسبيح لدى المفسِّرين[٢٥]. ويُلحظ أن مجيء الدالَّين في بنية التوشيح في الآية المذكورة مُتَضَادَّين يُحدِثُ حالة من التناسب يستطيع ذهن السامع أن يستدعي من خلاله الدال الثاني المضاد في البنية المذكورة لاسيما إذا بَلَغَ الذهن (نقطةَ الاستدعاء) وهي (واو) العطف وتكرار لفظة (حين) في (وحينَ تُصبحون) فسرعان ما يقفز إلى الذهن الدالُّ الثاني في التوشيح وهو (تُصبحون)، ولمعرفة المتلقي بموسيقا الفواصل المتقدمة على بنية التوشيح أثرها الكبير في تحديد الشكل الموسيقي للدال الثاني المتوقع في البنية، فإذا عرف أنَّ هذه الفواصل هي: («تُرجَعُون»، و «مُجرمون»، و«يُخْبَرون»، و«مُحْضَرون»)[٢٦] -وهي فواصل وردت على التفعيلة (فاعِلان-ب-٥) نونية الروي المردوف بـ(الواو) المدِّيَّة -استحضر على الفور الفاصلة (تُصْبِحُون) وذلك بسببٍ من التماثلات الموسيقية في الفواصل التي تسبق فاصلة بنية التوشيح.

أمّا ما يستفاد من هذه البنية في الآية المذكورة فهو تقرير فعل التسبيح في نفوس المكلفين في الوقتين المخصوصين ما بقيت حياتهم، وتحقيق تواصل المتلقي مع النص

(٢٥) ينظر: مجمع البيان لعلوم القرآن (الطبرسي): ٨/ ٥٥.

(٢٦) ينظر: سورة الروم: فواصل الآيات: ١١، ١٢، ١٥، ١٦.

بسبب من التماثلات الموسيقية للفواصل.

ب. الجَمْع:

المقصود بهذه الصورة ((هو أن يجمع المتكلم بين شيئين أو أكثر في حكم واحد))[٢٧] كالجمع بين لفظتي (السِّر) و(العَلَن) في حكم واحد وهو علم الله المطلق بهما معاً، وذلك في بنية التوشيح [(يُسرون ≠ يُعلِنُون)[٢]، (تُسرون ≠ تُعلِنُون)[١]]=٣ التي وردت في سياق:

- بيان الإحاطة العلمية المطلقة لله تعالى بسلوك العباد ظاهراً وباطناً:

فقد وردت ثنائية هذه البنية ثلاث مرات في القرآن الكريم، أُسند الدالاّن في اثنتين منها إلى ضمير الغائبين (يُسرون≠ يُعلِنُون) العائد في واحدةٍ منهما على اليهود المعاصرين لمحمدﷺ في مقام زجرهم عن النفاق[٢٨] قال تعالى: ﴿أَوَلَا يَعْلَمُونَ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ﴾ [سورة البقرة: ٧٧]، والآخر على المشركين والمنافقين زجراً لهم وتسليةً للرسول محمدﷺ[٢٩] وذلك في قوله تعالى: ﴿فَلَا يَحْزُنكَ قَوْلُهُمْ ۘ إِنَّا نَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ﴾ [سورة يس: ٧٦]، على حين وردت ثنائية واحدة أُسند الضمير في دَالَّيها إلى المخاطَبين أي (تُسرون ≠ تُعلِنُون) العائد على المشركين في مقام الزجر والوعيد أيضاً[٣٠] وذلك في قوله عز وجلّ: ﴿وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا تُسِرُّونَ وَمَا تُعْلِنُونَ﴾ [سورة النحل: ١٩] والسرُّ في اللغة: ((ما أَخْفَيتَ، والجمعُ أَسْرار))[٣١]، وهو محمول في الحقيقة على كل ما يُخفى في النفس من الأشياء[٣٢]، ويُسنَدُ إلى الكلام مجازاً ((تشبيهاً بما يخفى في النفس))[٣٣] على حين قَصَرهُ الراغب الأصفهاني (ت٤٢٥هـ) على ((الحديث المكتم في

(٢٧) خزانة الأدب وغاية الأرب: ٤/ ٣٠.

(٢٨) يُنظر: مفاتيح الغيب: ٣/ ١٣٧ -١٣٨.

(٢٩) يُنظر: مفاتيح الغيب: ٢٦/ ١٠٧، وإرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم: ٥/ ٣١٣.

(٣٠) يُنظر: الكشاف: ٢/ ٤٠٥، ومفاتيح الغيب: ٢٠/ ١٥.

(٣١) لسان العرب: ٤/ ٣٥٦.

(٣٢) ينظر: الفروق اللغوية (لأبي هلال العسكري): ٧٥.

(٣٣) الفروق اللغوية: ٧٥.

النفس))[٣٤]، أما (العَلَنُ) فـ((ضدُّ السِّر، وأكثر ما يُقالُ في المعاني دون الأعيان))[٣٥].

ومن خلال النصوص القرآنية المذكورة يلحظ أنَّ ثنائية بنية التوشيح قد تألفت من الدالَّين (يُسرون/ تُسرون) ≠ (يُعلِنون/ تعلِنون)، وهما دالاّن متخالفان في المستويين السطحي والعميق، وتخالفهما في المستوى العميق جاء من تضادهما كون (السرِ) إخفاءً، و(العَلَنِ) إظهاراً، أمّا تخالفهما في المستوى السطحي فمَردُّه إلى الاختلاف في مادة اللفظ، فضلاً عن البناء الصرفي والوزن العروضي، غير أن في هذا المستوى ثمة توافقاً جزئياً نجده متحققاً من جهة صيغة الدالين، ومن جهة تماثل موسيقا الفواصل وزناً ورويّاً وردفاً مع الدال الثاني في بنية التوشيح الذي يؤلف فاصلةً هو أيضاً. فمن الجهة الأولى، نجد أن الدّالين المذكورين كليهما قد وَرَدا فعلين مضارعين من الأفعال الخمسة مُسْنَدَين تارة إلى ضمير الغائبين كما في (يُسِرُّون ≠ يُعلنون)، وطوراً إلى ضمير المخاطَبين كما في (تُسرون ≠ تُعلنون). أمّا من جهة موسيقا الفاصلة فنلحظ أنّ كلا الدالين قد تماثلا في الروي المتمثل بحرف (النون) وردفه المتمثل بحرف (الواو) المدِّي، فضلاً عن تحقق ذلك في موسيقا الفواصل التي تسبق فواصل بنية التوشيح في كل سورة من السور التي وردت فيها الثنائيات التوشيحية المذكورة، ومن هذه الفواصل: («تَعْملون»، و«يَعْلمُون»، و«تعقِلُون») الواردة رؤوس آيات سبقت الفاصلة «يُعلِنون» في سورة البقرة[٣٦]. و(«يأكلون»، و«يَشكرون»، و«يُنصَرون»، و«مُحضرون»)، وهي رؤوس آي سبقت الفاصلة «يُعلِنون» في سورة يس[٣٧]، و(«تَشْكُرُون»، و«تَهْتَدُون»، و«يَهْتَدُون»، و«تَـذكَّرون»)، وهي رؤوس آي سبقت الفاصلة «تُعْلِنُون» في سورة النحل[٣٨].

ومعلومٌ أنَّ الفواصل المذكورة قد جاءت على الوزن (فاعِلان) (-ب -٥) وأنَّ لهذِهِ الخِصِّيْصَى أهمية كبيرة في تحقيق

(٣٤) المفردات في غريب القرآن: ٢٣٤ (سرر).
(٣٥) المصدر نفسه: ٣٤٩ (علن).
(٣٦) ينظر: [سورة البقرة: ٧٤ -٧٦].
(٣٧) ينظر: [سورة يس: ٧٢ -٧٦].
(٣٨) ينظر: [سورة النحل: ١٤ -١٩].

صحة توقّع شكل الدال الثاني في بنية التوشيح، فما إن يسمع المتلقي قوله تعالى: ﴿يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ..﴾ بعد أن عرف موسيقا فواصل السورة، وبَلَغَ (نقطة الاستدعاء) (وما) -يَقفِزُ إلى ذهنه على الفور الدالُّ الثاني الذي يؤلِّفُ فاصلةً في بنية التوشيح وهو «يُعلِنُون».

ويبدو أنَّ التفعيلة (فاعِلان) تبقى ماثلةً بصورة كبيرة في فواصل السور القرآنية، حتى وإن لم تأتِ بعض الفواصل بصورة فِعْلٍ من الأفعال الخمسة أو جَمْعِ مذكرٍ سالم، كما في الفاصلة (رَحِيْمْ) التي سبقت الفاصلة «تعلِنون» في سورة النحل[٣٩]. وهي فاصلةٌ ميميةُ الروي يائية الردف، وزنها العروضي (فَعُولُن) (رَحِيمُن) في حال عدم الوقف، و(فَعُولْ) في حال الوقف أي (رَحِيْمْ)، ولكن إذا ما ضَمَمْنا إلى هذه الفاصلة الموقوف عليها (رَحِيْم) سبباً خفيفاً نقطعه من آخر الكلمة التي قبلها وهي الراء المنونة في (غَفُو (رٌ) = رُنْ) التي وزنها (فعولن) تصبح التفعيلة عندئذٍ (رُنْ رَحِيْمْ «-ب-») أي (فاعِلان)، وبهذا تكون أكثر الفواصل قد جاءت على هذا الوزن، وعند ذلك يتحصل التماثل الموسيقي من جهة الإيقاع العروضي الذي يُسهم إلى حد كبير في تحقيق توقع الذهن للشكل الموسيقي للفاصلة المناسبة التي تؤلف دالاً ثانياً في بنية التوشيح في القرآن، فضلاً عن عملها في تحقيق تلاحم النص وتواصل ذهن المتلقي معه، وبعث النشوة الترنُّمية في نفسه، وهو ما يستفاد من هذه البنية في الآية المذكورة.

وفي سياق الإحاطة العِلْميّة المطلقة لله بأفعال العباد نفسه، وبيان أن لا شيء يعتصم به الإنسان يوم القيامة من الله تعالى[٤٠]، وردت ثنائية التوشيح (قَدَّم ≠ أَخَّرَ)، في قوله عزّ وجلّ: ﴿كَلَّا لَا وَزَرَ ۝١١ إِلَىٰ رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ الْمُسْتَقَرُّ ۝١٢ يُنَبَّأُ الْإِنسَانُ يَوْمَئِذٍ بِمَا قَدَّمَ وَأَخَّرَ﴾ [سورة القيامة: ١١ -١٣].

تكونت بنية التوشيح في الآية المذكورة من الدَّالَّين (قَدَّمَ) و(أَخَّر) المتخالفين في المستويين: السطحي، والعميق، وتخالفهما في المستوى السطحي إنما هو من جهة تخالفهما في المادة اللفظية، فاللفظ (قَدَّمَ)

(٣٩) ينظر: [سورة النحل: ١٨].

(٤٠) ينظر: مفاتيح الغيب: ٣٠/ ٢٢١.

يختلف من حيث الجذر اللغوي عن اللفظ (أَخَّر)، على وفق ما بينته من قبل[٤١]. غير أنَّ ثَمَّةَ توافقاً جزئياً تحقق بينهما متمثلاً بالصيغة الصرفية والوزن الصرفي فضلاً عن الصيغة الزمنية، إذ وَرَدَ كلٌ منهما فِعْلاً دالاّ على المضي، وهذا التماثل في الصيغة له أثره في تحقيق معرفة أسلوب التوشيح بسهولة، أمّا تخالفهما في المستوى العميق فجاء من جهة اختلاف دلالة كل لفظ منهما عن الآخر في مستوى التضاد، لكنَّ هذا لا يمنع وقوعهما في دائرة التناسب المعنوي كونهما متآصِرَين برتبة زمنية متعلقة بعمل الإنسان، بمعنى أنّ الله تعالى يَعْلَمُ بما فعله الإنسان في الماضي، وما يفعله في الحاضر والمستقبل مهما كان هذا العمل، ليترتب على ذلك الجزاء في ما بعد[٤٢]. وفي دائرة هذه الآصرة المعنوية يتحرك ذهن المتلقي على أساس من أنَّ الضد يقتضي استدعاء ضدِّه في الذهن شكلاً ودلالةً، لكنَّ ما يُساعد على ضبط تصور شكل الضد المُسْتَدْعَى ههنا -ليؤلفَ دالاً توشيحياً للدال الأوّل- هو الوزن العروضي لفواصل الآيات الأُخَر المتقدمة على بنية التوشيح -إلى حد ما- وَرَوِيُّ تلك الفواصل وردْفُ رَوِيِّها إذا وُجِدَ الرِّدف. فإذا ما وَصل ذهن المتلقي إلى (نقطة الإرشاد = نقطة الاستدعاء) الكائنة بين المتقابلين، والمتمثلة هنا بحرف العطف (الواو)، وكان هذا الذهن على علم ودراية بأنَّ الفواصل المتقدمة قائمة على الوزن العروضي (فاعِلُن: -ب -)-عند الوقف -نحو: («والقَمَرْ»، و«نَ المَفَرْ»، و«لاَوَزَرْ»، و«مُستَقَرْ») وأنَّ رَوِيَّها هو (الراء)، عَرَفَ أنَّ فاصِلة التوشيح ستكون (أَخَّرْ) التي هي (فاعِلْ) المقطوعة من التفعيلة (فاعِلُن)، وعلى ذلك تكون موسيقا الفواصل المتقدِّمة على بنية التوشيح، وحضور دائرة التناسب الدلالي بين دالَّي التوشيح وشكلهما الصياغي وسائِلَ تفضي إلى تحقيق هذه البنية، فضْلاً عن تحقيق خِصِّيصَى تواصل الذهن مع النص الذي التَحَمَ بفضل وجود هذه التناسبات.

أما ما يستفاد من التوشيح في الآية المذكورة آنفاً فيكمن في قدرة هذا الفنِّ -من خلال الآية -على تحفيز ذلك المتلقِّي على

(٤١) ينظر: الصحيفة: ١٣ من هذا البحث.
(٤٢) ينظر: مفاتيح الغيب: ٣٠/ ٢٢١.

استحضار الدال الآخر المؤلف فاصلة فيها قبل بلوغه إيَّاه، وضمّ معنى دلالة اللفظين المتضادين في دائرة اشتمال علم الله تعالى لأفعال العباد كلها. ونظير هذه الثنائية التي تقدمت والمقام، ثنائيةُ (قَدَّمت ≠ وأَخَّرَت) ولكن بلحاظ آخر وهو معرفة النفس بحالها عندما تُبعث من أهوال التغيير الكوني يوم القيامة[٤٣] –وذلك في قوله تعالى: ﴿وَإِذَا ٱلْقُبُورُ بُعْثِرَتْ ﴿٤﴾ عَلِمَتْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ وَأَخَّرَتْ﴾[سورة الانفطار: ٥].

ويجدر بي أن أشير إلى أنَّ رَوِيَّ الفواصل في هذه الآية. وما تَقَدَّمَها من فواصل. ليس حرف التاء الذي هو للمؤنث وإنَّما هو (الراء) كما تقدم. لأنَّ تاء التأنيث لا تكون رَوِّياً لدى علماء العروض[٤٤]. لكنها هنا تَمَّمت التفعيلة (فَاعِلُنْ) وجعلتها سالمةً نحو (بُعْثِرَتْ: –ب –) أي، فاعِلُن، ومثلها: (أَخْخَرَتْ: «–ب –»).

ت. التَخيير:

الـتَـخـيـيرُ في الـلـغـة والاخـتـيـارُ: الاصـطـفـاء[٤٥]، وهـو في الاصـطـلاح ((أن يُـؤتَـى بقطعة من الكلام أو بيت مـن الشعر جمـلـة، وقـد عطف بعضها على بعضٍ بـأداة التخيير، كقوله تعالى: ﴿فَكَفَّـٰرَتُهُۥٓ إِطْعَـامُ عَشَرَةِ مَسَـٰكِينَ مِنْ أَوْسَطِ مَا تُطْعِمُونَ أَهْلِيكُمْ أَوْ كِسْوَتُهُمْ أَوْ تَحْرِيرُ رَقَبَةٍ..﴾[سورة المائدة: ٨٩]))[٤٦].

ومن ثنائيات التوشيح التي وردت على وَفق هذه الصورة الثنائية (يَتَقَدَّم ≠ يَتَأَخَّرَ) التي ذُكرت في موضع واحد في القرآن الكريم في سياق:

– الإيقاظ والتحذير[٤٧]، قال تعالى: ﴿إِنَّهَا لَإِحْدَى ٱلْكُبَرِ ﴿٣٥﴾ نَذِيرًا لِّلْبَشَرِ ﴿٣٦﴾ لِمَن شَآءَ مِنكُمْ أَن يَتَقَدَّمَ أَوْ يَتَأَخَّرَ﴾[سورة المدثر: ٣٥ –٣٧].

تألفت بنيةُ التوشيح في الآية المذكورة من الدّالَّين المتقابلين المتضادَّين (يَتَقَدَّم ≠ يَتَأَخَّرَ)، وأداةِ التخيير (أو) التي حَلَّت بينهما (نقطةَ إرشاد) أو (نقطةَ استدعاء)، ويُلحظُ أن كِلا الدالّين قد وَرَدا متخالفين

(٤٣) ينظر: في ظلال القرآن (سيد قطب): ٨/ ٤٨٩.

(٤٤) ينظر: كتاب القوافي (للأخفش): ١٠.

(٤٥) ينظر: لسان العرب: ٤/ ٢٦٦ (خير).

(٤٦) معجم البلاغة العربية (د. بدوي طبانة): ٢١٤.

(٤٧) ينظر: في ظلال القرآن: ٨/ ٣٥٧.

في المستويين السطحي والعميق، وقد تقدم ذكر ذلك في هذا البحث[٤٨]، غير أنّ ثَمّة توافقاً جزئياً نلحظه في المستوى السطحي ألا وهو المماثلةُ التامَّةُ في صيغة الدالين الصرفيةِ وهي: (يَتَفَعَّل)، والزمنيةِ الدالةِ على الحال والاستقبال، أمّا في المستوى العميق فالدالاّن متضادان كلاهما، وعلى الرغم من هذا التضاد إلاّ أنَّ الذهن يستطيع أن يستحضرَ أحَدَهُما عند ذكر الآخر الضدّ، وهذا الحضور يتحقق باللفظ والصورة (الصيغة) حَمْلاً على صورة الدالِّ الأوَّل، وهنا تكمن الفائدة في هذه البنية، ولا يعزب عن الألِبَّاء آصرة التناسب المعنوية التي بين أي لفظين متضادين، وهذه الآصرة هي التي تعمل بصورة كبيرة على التقريب بين الدالين وجعلهما في حقل واحد، كما في آصرة (الرتبة) التي في الثنائية المذكورة، أمّا موسيقا الفواصل المتمثلة بالوزن العروضي، وحرف الرّوِيّ، فإنَّها ركن مفيد جداً في تحفيز الذهن نحو توقُّع الدال المناسب ليكون فاصلةً في بنية التوشيح، لكن يُلحظ هنا أنّ الوزن العروضي لفواصل الآيات التي تقدَّمت على فاصلة التوشيح لم يتوافق تماماً مع الوزن العروضي لفاصلة التوشيح، فَلَمَّا كان الوزن العروضي الشائع في فواصل هذه السورة -أي المدَّثِّر -هو (فَعِلْ «ب-») نحو: («نَظَرْ»، و«بَسَرْ»، و«بَشَرْ»، و«سَقَرْ»، و«سَقَر»، و«تَذَرْ» و«بَشَرْ»، و«عَشَرْ»، و«بَشرْ»، و«قَمَرْ»، و«كُبَرْ»، و«بَشَرْ»)[٤٩]، ثم (فَاعِلْ«- -») نحو («قَدَّرْ»، و«قدّر»، و«قَدَّر»، و«أسْ/ تَكْبَرْ»، و«يُؤْثَرْ»، و«أدْبَرْ»، و«أسْفَرْ»)[٥٠]، فإنَّ هذه الفواصل -وإن كانت مختلفة بين الوزنين العروضيين المذكورين -غير أنّ الأصل فيها هو التفعيلةُ (فاعِلُن «-ب -»)، أمّا الفاصلة (يَتَأَخَّرْ) فوزنها العروضي عند الوقف هو (مُتَفَاعِلْ) وهي تفعيلة مقصورة عن (مُتفاعِلُن)، فإذا ما استغنينا عن السبب الثقيل من التفعيلة المقصورة (مُتَفاعِلْ) وهي (مُتَ) تتحول عندئذ إلى (فَاعِلْ) التي تقدمت في هذه

(٤٨) ينظر: الصحيفة: ١٣، و١٧.

(٤٩) سورة المدثر: فواصل الآيات: ٢١ -٢٢، و٢٥ -٣٣، و٣٥ -٣٦.

(٥٠) سورة المدثر: فواصل الآيات: ١٨ -٢٠، و٢٣ -٢٤، و٣٣ -٣٤.

الفواصل، وهذا كله محمولٌ على الموسيقا الخارجية للفواصل التي تتواطأ على ذهن المتلقي، فتارة يعتمد سماعه على آخر الكلمة في الآية أو بعضها، وطوراً يُلحق به بعضاً مما هو في آخر الكلمة التي تقدمها كما في ﴿إِنَّهَا لَإِحْدَى الْكُبَرِ﴾[51]، التي إذا سمعها المتلقي موسيقياً (دَلْكُبَرْ) تكون (فاعِلُن) كما في («مَا سَقَر»، و«لاْ تَذَرْ»، و«لِلْبَشَرْ»، و «لِلْبَشَرْ»، و«وَلْقَمَرْ»)[52]، وبعد ذلك يبقى (قَرَارُ)(*) الفاصلة هو صاحب الأثر الكبير –إلى حد ما– في تحديد شكل فاصلة التوشيح.

ويُستفاد من التوشيح في هذه الآية قدرته على تحفيز ذهن المتلقي على استحضار الدال الآخر المؤلِّف فاصلةً فيها قبل الوصول إليه وبعد معرفة موسيقا فواصل السورة السابقة للفاصلة الموشحة، الأمر الذي يجعل الذهن متواصلاً مع موضوع السورة كلها ومنسجماً مع موسيقاها المُنَشِّطة للنفس والموقظة للذهن، وهذا القرار هو حرف (الرّوي) المتمثل هٰهنا بحرف (الرَّاء).

٢. التوافق الإسمي:

في ما تقدم من البحث درستُ التوافق الفعليَّ في التوشيح بالتضاد وهنا تأتي دراسة التوافق الاسمي في التوشيح المذكور. وأعني بهذا التوافق هو مجيء دَالَّي بنية التوشيح اسمين متماثلين في الصيغة والاشتقاق، كما في التوشيحين: (مُسْتَقْدِمِين ≠ مُستأْخِرين)، و(طُلُوع ≠ غروب)، اللَّذينَ وردَ كل واحدٍ منهما في موضع من القرآن الكريم، وله صورته التقابلية التي جاءت على وَفْق الآتي:

أ. الجَمْع:

ضَمّت هذه الصورة ثنائية التقابل التوشيحية (مُسْتَقْدِمِين ≠ مُستأْخِرين)، التي وردت اسماً مرّة واحدة في القرآن الكريم في سياق:

– بيان علم الله المطلق، فَضْلاً عن علمه تعالى بمسألة خاصة يوضحها

(٥١) ينظر: [سورة المدثر: ٣٥].

(٥٢) ينظر: سورة المدثر: من الآيات ٢٧ –٢٩، و٣١ –٣٣.

(*) القرارُ: مصطلح موسيقي يعني الدرجة الموسيقية التي يستقر عندها النَغَم وهي قرار لما فوقها أي لما يماثلها في الطبقات العالية، وهي مرتبة صوتية (ينظر: قاموس الموسيقى العربية: ((حسين علي محفوظ))): ٢١٨.

سبب نزول الآية، وعلى مقتضاها يُجَازَى الناس على نِيَّاتهم[٥٣]. قال عزّ وجلّ: ﴿وَلَقَدْ عَلِمْنَا ٱلْمُسْتَقْدِمِينَ مِنكُمْ وَلَقَدْ عَلِمْنَا ٱلْمُسْتَـٰٔخِرِينَ﴾ [سورة الحِجر: ٢٤].

تكونت بنية التوشيح في الآية المذكورة من الدَّالين (مُسْتَقْدِمين ≠ مُستأْخِرين)، و(نقطةِ الإرشادِ) أو (الاستدعاءِ) المتمثلةِ بحرف العطف (الواو) وتكرارِ الجملةِ التي بعده وهي (لقد عَلِمْنَا)، ومعلومٌ أن الدالَّين المذكورَين قد وَرَدا متخالفين في المستويين السطحي والعميق، وتخالفهما في المستوى السطحي إنَّما جاء من جهة مادة اللفظ، فمادة (قدم) التي اشتق منها لفظ (مستقدمين) هي غير مادة (أخر) التي اشتُقَّ منها لفظ (مستأخرين)، وعلى الرغم من هذا التباين الذي بينهما غير أننا نجد توافقاً جزئياً في هذا المستوى وذلك من جهة صيغتهما الصرفية والاشتقاقية فاللفظان كلاهما قد وَرَدا على الوزن الصرفي ((مُسْتَفعِلين)) المزيد بـ(سين الاستفعال) للدلالة على الطلب، فَضْلاً عن ورودهما اسمين مُشتَقَّين على صيغة أسماء الفاعِلين (مُستقدِمين) و(مُسْتأخِرين) المنصوبين بالمفعولية، فَعِلْمُ الله تعالى -على ذلك -قد طال الاسمين مَعًا، وهو ما حقَّق هنا صورة الجَمْعِ التقابلية.

أمّا في المستوى العميق فَيُلْحَظ أنَّ كلا الدالين قد وَرَدا متخالفين تخالفَ تضادَّ، فـ(التَقَدُّم) هو ضد (التأَخُّر)، ولكن هذا لا يمنع من وجود مناسبة معنوية بينهما وهي تلك المتمثلة بآصرة (الرتبة المكانية) في الآية المذكورة، على أساس من معطيات سببِ النزول الذي يتناول المسلمين الطالبين للتَقَدُّم في خطوط الصلاة أو الطالبين التأخر عنها[٥٤]، ومعلوم أنّ الضد ما إنْ يُذكر حتى يقفزَ إلى الذهن ما هو ضدٌ له، ولكنَّ صورة هذا الضد المُسْتَحضَر تتألف من صيغة الضد الأوّل وبنائه الموسيقي، فَضْلاً عن موسيقا الفواصل المتقدمة عليه في ما لو كان يؤلف فاصلةً توشيحية، ولو عدنا إلى

(٥٣) يُنظر: مجمع البيان لعلوم القرآن: ٦/ ١٢٧ -١٢٨، والجامع لأحكام القرآن (للقرطبي): ٥/ ٢٦٥.

(٥٤) ينظر: الجامع لأحكام القرآن: ٥/ ٢٦٥.

موسيقا تلك الفواصل التي تَقَدَّمَت الدالَّ الثاني في التوشيح لوجدنا أكثرها قد وَرَدَ على الوزن العروضي (فاعِلان) الذي تقدم ذكره في هذا البحث[٥٥]. نحو: «نٍ مُبين← نِنْ مُبين»، و«مُسْلمين»، و «يَعْلَمُون»، و«صادقين»، و«مُنَظِرين»، و«حافِظُون»، و«أوَّلين» و «رازقين»، و«خَازِنين»، و«وارثون»[٥٦] وأنّ رَوِيّ هذا الوزن هو (النون) المردوفة تارة بـ(الياء) المديّة، وطوراً بـ(الواو) المديّة، وهما حرفان يشتهر تواطؤهما على ردف الفاصلة أو التفعيلة، والفاصلة (مستأخرين) الموقوف عليها هي على الوزن العروضي (مُسْتَفْعِلان) وَرَوِيّها (النون) المردوفة بـ(الياء) المديّة، والفاصلة من هذه الجهة -أعني الرَّوي والردف- تكون متماثلة وَرِوِيّ الفواصل الأخرى وردفها، أمّا من جهة الوزن العروضي فيتحقق التماثل إذا اقتُطِعَ -ذهنياً- السببُ الخفيفُ من أول التفعيلة (مُسْتَفعلان) فتصير (تَفْعِلاَنْ «-ب -٥») التي تساوي التفعيلة (فاعِلان «-ب -٥»)، ومهما يكن من شيء فإنَّ التعويل في معرفة الفاصلة المناسبة لبنية التوشيح موسيقياً يكون على رَوِيّ الفواصل وردفِها، يلي ذلك وزنُ تلك الفواصل، فإذا ما وَصَلَ المتلقي إلى نقطة الإرشاد (ولقد عَلِمنا)، وكان على معرفة بموسيقا الفواصل التي تقدمت بنية التوشيح، عرف شكل الدال الثاني المؤلف فاصلة فيها.

أمّا ما يُستفاد من التوشيح في الآية المذكورة فيتجلَّى في قدرة ذهن المتلقي على استحضار الدال الآخر المؤلف فاصلةً في الآية قبل الوصول إليه ليغلق بوساطته دائرة اشتمال علم الله المطلق على نوايا الناس كافة على مر العصور.

ب. التعيين والتحديد:

ضَمّت هذه الصورةُ ثنائيةَ التقابلِ التوشيحيةَ (طُلُوع ≠ غروب) التي وردت اسماً مرة واحدة في القرآن الكريم في سياق:

- حثَّ الله تعالى رسولهﷺ على الصلاة والتسبيح في أوقاتها المعينة والمحددة، من كل يوم، وتكذيب اليهود على زعمهم أنّ الله استراح يوم السبت

(٥٥) ينظر: الصحيفة: ١٣ -١٥.

(٥٦) سورة الحجر: فواصل الآيات: ١ -٣، و٧-١٠، و٢٠-٢٢.

لذا ينبغي الاستراحة عن العبادة فيه[٥٧]، وذلك في قوله: ﴿فَاصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ الْغُرُوبِ﴾[٥٨] [سورة ق: ٣٩].

الطُّلُوع: مصدر من طَلَعَتِ الشمسُ والقَمَرُ والنجوم تَطلُعُ طلوعًا ومَطْلَعاً ومَطْلِعَاً، فهي طالعةٌ[٥٩]، وذلك إذا بَدَت، وكُلُّ بادٍ مِنْ عُلْوٍ فهو طالعٌ[٦٠]، أمّا الغُرُوبُ: فمصدرٌ أيضاً من غَرَبت الشمسُ تَغرُبُ غُرُوبًا، وذلك إذا غابت في المَغْرِب، وعلى ذلك يكون معنى الغروب: غُيُوبُ الشَّمس[٦١].

وقد تكونت بنية التوشيح في الآية المذكورة من الدَّالَّين (طُلُوع ≠ غُرُوب) وهما دَالّان متخالفان في المستويين: السطحي والعميق، وتخالفهما في المستوى الأوّل كان من جهة مادة لفظِ كلٍ منهما فـ(الطُّلُوع) من حيث المادة اللغوية هو غير (الغُرُوب)، ولكن يمكن ملاحظة وجود توافق جزئي في هذا المستوى وهو التماثل في الصيغة والاشتقاق، فلفظ (طُلُوع) مَصْدَرٌ مشتقٌّ من الفِعْل طَلَعَ يَطلُعُ طُلُوعاً، وكذا لفظ (غُرُوب) فهو مصدرٌ أيضاً مشتق من الفعل غَرَبَ يَغرُبُ غُروباً، فضلاً عن أنَّ اللفظين كليهما قد وَرَدا على الصيغة الصرفية (فُعُول)، ومعلومٌ أنَّ هذه التماثلات تعمل بصورة كبيرة على تحقيق بنية التقابلات الضدّيَّة في الذهن وهو ما يدعى بالاستدعاء أو التداعي الذِهنَّيين.

أمّا تخالفهما في المستوى العميق فمَرَدُّهُ معنَى كلٍ منهما، فالطُّلُوع يعني: البُدُوّ والظهور، على حين أنَّ معنى الغُرُوب هو الغُيُوبُ والاختفاء. ولكن عند التدقيق في هذا التقابل من جهة المستوى العميق (المدلول)، نجد أنَّ لفظ (الطُّلُوع) لا يُؤلِّف ضدًا لغويًا مقابلاً للفظ (الغروب)، وإنَّما لفظ (الشروق) هو الذي يؤلف هذا الضد، بدليل وروده مقابلاً للفظ (الغُرُوب) بتصريفاته المختلفة نحو (١٠)

(٥٧) ينظر: مجمع البيان لعلوم القرآن: ٩/ ٢٧٥.
(٥٨) الآية من شواهد (الإرصاد) في كتاب: جواهر البلاغة: ٣٦٩.
(٥٩) ينظر: لسان العرب: ٨/ ٢٣٥ (طلع).
(٦٠) ينظر: المصدر نفسه: ٨/ ٢٣٦ (طلع).
(٦١) ينظر: المصدر نفسه: ١/ ٦٣٨ (غرب).

مرات في القرآن الكريم[٦٢]، على حين لم يرد لفظ (الطلوع) مقابلاً له في القرآن سوى (٣) مرات[٦٣]، ويبدو أنَّ في الطلوع دلالة هي أوسع مما في (الشروق) ففي الطُّلوع عموم، أما في (الشروق) فثمة معنًى مخصوصٌ بإرادة جهة طلوع الشمس، ولا يعزب عن البال آصرة التناسب التي تربط بين المدلولين المذكورين وهي (آصرة اتجاهية) متعلِّقة بنور الشمس، فترى الذهن يتحرك بين هذين المدلولين بفعل الآصرة المذكورة. فما إنْ يصلُ الذهن إلى (نقطة الإرشاد) أو (نقطة الاستدعاء)- وهي (وقبلَ) التي تكررت في بنية التوشيح في الآية المذكورة -حتى يقفز إلى هذا الذهن الدال الثاني الذي يؤلِّفُ فاصلةً في التوشيح بعد أن يعرف المتلقي موسيقا فواصل الآيات المتقدمة وهي: («عَجِيب»، و«مُرِيب»، و«مُنِيب»، و«لُغُوب»)[٦٤] التي جاءت على الوزن العروضي (فَعُولْ ((ب -٥))) عند الوقوف عليها، فضلاً عن مجيء آيات السورة كلها على الوزن المذكور مع التباين في حروف الروي الذي يأتي (دالاً)، أو (جيماً) أو (باءً)، لكن مجيء الفاصلة التي سبقت فاصلة بنية التوشيح (لُغُوب) هيَّأت للسامع توقع الفاصلة (غُرُوب)، وهما فاصِلتان متماثلتان في الوزن العروضي وفي الروي وردفه.

أما قوله تعالى -في السياق نفسه -: ﴿ فَٱصۡبِرۡ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَسَبِّحۡ بِحَمۡدِ رَبِّكَ قَبۡلَ طُلُوعِ ٱلشَّمۡسِ وَقَبۡلَ غُرُوبِهَاۖ وَمِنۡ ءَانَآيِٕ ٱلَّيۡلِ فَسَبِّحۡ وَأَطۡرَافَ ٱلنَّهَارِ لَعَلَّكَ تَرۡضَىٰ ﴾ [سورة طه: ١٣٠] فلم يَعُد الدالاّن (طُلُوع ≠ غروب) في الآية ضمن بنية التوشيح؛ لأنَّ الدال الثاني -وهو (غروب) -لم يأتِ فاصلة في هذه الآية، فَضْلاً عن أنَّ فواصل السورة جميعها لا تتفق من حيث الموسيقا مع فاصلة الآية، إذْ جاءت هذه الفواصل على الوزن العروضي (فَعْلُن)، وَلَمْ يَرِدْ

(٦٢) ينظر: [سورة البقرة: ١١٥، و١٤٢، و١٧٧، و٢٥٨]، و[سورة الأعراف: ١٣٧]، و[سورة النور: ٣٥]، و[سورة الشعراء: ٢٨]، و[سورة الرحمن: ١٧]، و[سورة المعارج: ٤٠]، و[سورة المزمّل: ٩].

(٦٣) ينظر: [سورة الكهف: ١٧]، و[سورة طه: ١٣٠]، و[سورة ق: ٣٩].

(٦٤) ينظر: سورة ق: فواصل الآيات: ٢، و٨، و٢٥، و٢٣، و٣٣، و٣٨.

وَزنٌ واحد يقترب من الوزن (فَعُولْ) الذي وردت عليه لفظة (غُرُوب)، وكذا الاختلاف في الروي أيضاً، إذْ جاءت فواصل السورة كلها على روي واحد تمثل بحرف الألف وهو بذلك لا يلتقي مع حرف (الباء) الذي في (غروب) أبداً، وهو ما يؤكد وجود العلاقة الوثقى بين فن التوشيح وموسيقا الفواصل المهيمنة في السورة التي تتضمن هذا الفن.

الثاني: التخالف الصِيَغيّ: ضمّ هذا الضرب من تقابل التضاد -بين دالّي بنية التوشيح في القرآن الكريم -ثنائيتين اثنتين تضمَّنتا بُعدًا (عقائديًا)، ارتبطت العناصر المتقابلة فيهما بآصرة (كلامية)، وهما (صَدَقْتَ ≠ كاذبين)، و(صدقُوا ≠ كاذبين).

وجاءت الثنائيتان كلتاهما على وَفْقِ الصورةِ الآتية لحركة التقابلات:

- التمييز:

ومعنى التمييز في اللغة: العَزْلُ، والفَصْلُ، والفَرْزُ، تقول: مِزْتُ الشيءَ أَميزُهُ مَيْزًا؛ عَزَلْتُهُ وفَرَزْتُهُ وكذلك مَيَّزْتُه تَمييزًا فانْمَازَ، وَمَازَهُ مَيْزًا ومَيَّزَه بمعنى: فَصَلَ بَعْضَهُ مِن بعض[٦٥].

وجاءت الثنائيتان المذكورتان كلتاهما على وَفْق هذه الصورة غير أنّ الثنائية الأولى قد عُطِفَ بين عنصريها المتضادين بـ(أم) العاطفة المعادِلَة لهمزة الاستفهام[٦٦] المتقدمة عليهما وهي (أصدقْت ≠ (أم)... كاذبين) التي وردت مرة واحدة في القرآن الكريم في سياق:

- بيان وجه تطلُّب النبي سليمان عليه السلام تحقيق صدق خبر الهدهد في ما نَقَل من أخبار سَبإٍ وملكَتِهم بِلْقِيس، والإيذان بتوبيخه وتهديده في ما لو كان كاذِبًا[٦٧]، قال تعالى: ﴿ قَالَ سَنَنظُرُ أَصَدَقْتَ أَمْ كُنتَ مِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ ﴾ [سورة النمل: ٢٧]، تكونت بنية التوشيح في الآية من الدالَّين (صَدَقْتَ) و (كاذبين)، ونقطة الإرشاد -أو (الاستدعاء) - المتمثلة بالأداة (أم) العاطفة المعادِلة. وكان الدالان كلاهما متخالفين في

(٦٥) ينظر: لسان العرب: ٥/ ٤١٢ (ميز).
(٦٦) ينظر: في موضوع «أم» العاطفة المعادلة: الأزهية في علم الحروف (الهروي): ١٣١.
(٦٧) ينظر: تفسير التحرير والتنوير (ابن عاشور): ١٩/ ٢٥٦.

المستويين السطحي والعميق، وجاء تخالفهما في المستوى الأول من جهة مادتهما اللغوية وصيغتهما، فاللفظ (صدق) هو غير اللفظ (كذب) من حيث المادة اللغوية، وهو غيره أيضا من حيث الصيغة، إذ ورَدَ الدال الأول (صَدَق) فعلا ماضيًا دالًا على الإفراد، على حين جاء الدال الآخر المقابل له –(كاذبين) –اسمَ فاعلٍ دلاً على الجمع، أمَّا تخالفهما في المستوى العميق فكان من جهة دلالة كلٍّ منهما، فاللفظ (صَدَقْتَ) من الصّدق الذي هو ((نقيض الكذب))[٦٨] وأصلهما في القول، ماضيًا كانَ هذا القول أو مستقبلا، ووعدًا كانَ أو غيرَهُ[٦٩]. وهو في الاصطلاح: ((مطابقة القولِ الضميرَ والمخبرَ عنه مَعًا، ومتى انخَرَم شرطٌ من ذلك لم يكن صِدْقًا تامًا..))[٧٠]، ولدى أهل الحقيقة هو: ((قول الحقِّ في مواطن الهلاك))[٧١]، وضدُّ ذلك هو (الكذبُ)، وهو عدم مطابقة الحكم للواقع[٧٢]. ويُقالُ في المقالِ والفِعال[٧٣].

وكلا الدالين المذكورين في ثنائية التوشيح (صَدَقتَ≠ كاذبين) محمولٌ على القول وهو خَبَر الهُدْهد لسليمان عليه السلام عَمَّا رآه من أمرِ سبإٍ وملِكَتِها.

ويُلْحَظُ أنّ علاقة التقابل القائمة بين الدالَّين المذكورين هي علاقة تضاد، وأنّ هذه العلاقة تجعل ذهن المتلقي متحفِّزًا للانتقال بين دالّيها، فما إنْ يحضر الدال الأول في الذهن –وهو (صَدَقْتَ) بصيغته وبنائه، ونقطة الإرشاد المتمثلة بـ(أم) المعادلة –حتى نجد أنَّ الذهن يستدعي على الفور ما هو ضد ذلك وهو الدال (كَذَبْتَ) على سبيل المطابقة التامة للدال الأول صيغةً وبناءً، ولكن لّما كانَ ذهنُ المتلقي قد قَرَّتْ فيه التماثلات الموسيقية في فواصل السورة التي شاعَ فيها بناؤها على رَوِيٍّ متماثلٍ –في الغالب –وهو (النون) المردوفة بحرف المد (الياء) أو (الواو)

(٦٨) لسان العرب: ١٠/ ١٩٣، (صدق).
(٦٩) ينظر: المفردات في غريب القرآن: ٢٨٠.
(٧٠) المصدر نفسه: ٢٨٠.
(٧١) التعريفات (للشريف علي الجرجاني): ١٠٩.
(٧٢) ينظر: المصدر نفسه: ١٥٠.
(٧٣) ينظر: المفردات في غريب القرآن: ٤٢٩.

المدِّيَّتين والوزن العروضي المتمثل بالتفعيلة (فاعلان)، نحو (كِتَا"بٍ مُبين"، و"مؤمنين" و"عالمين"، و"فاسقين"، وسِحْـ"رٌ مُبين"، و"مُفسدين"، و"مؤمنين"، والفَضْـ"لُ المُبين"، و"يُوزعُون"، و "يشعرون"، و"صالحين"، و"غائبين"، وسُلْطا"نٍ مُبين"، ونَبَـ"إيقين"، و"يهتدون"، و"تعلنون"[٧٤]- حَسُنَ عند ذلك توقعه لمجيء الدال الآخر الضدّ -وهو (كاذبين) -على وَفْق موسيقا تلك الفواصل المذكورة، وهذا إن دَلَّ على شيءٍ فإنّما يَدُلُّ على أنَّ القرآن الكريم قد قَصَدَ تلك الموسيقا لغاية جمالية ونفسية تحقق عنصري المتعة والتواصل مع النص، وأخرى دلالية تمثلت في استعمال لفظ (الكاذبين) على وَفْق هذه الصيغة الاسمية ضدًّا للفظ (صَدَقْتَ)، فكانت صيغة الاسم (كاذِبين) تدلُّ على ثبوت المصدر في الفاعل ورسوخه فيه وهو أمر غير متحقق في الصيغة الأخرى المتمثلة بالفعل(كَذَبْتَ) كون الفعل لايدلّ على الثبوت مثلما يدلّ عليه الاسم[٧٥].

ومعلوم أنّ اللفظ الضدَّ المرشَّحَ في الذهن -مقابلاً للفعل (صدقتَ) -هو الفعل (كَذَبْتَ) على سبيل توهُّم المطابقة التامة في الصيغة -هذا في ما لو لم تحضر في الذهن موسيقا الفواصل المذكورة آنفًا- أمَّا في حال حضورها، فالأمر هو على ما تقدم ذكره، وهو مجيء الضد على الوزن العروضي (فاعلان) وحينها تَؤُوْلُ لفظة (كذَبْتَ) -التي هي على الوزن (فَعُوْلْ) عند الوقف عليها -إلى (كاذبين) التي هي على الوزن (فاعلان) المحمول على سبيل التماثل على الفواصل المتقدمة عليه في السورة، ومجيء اللفظة على صيغة اسم الفاعلين (كاذبين) -فضلا عمَّا فيها من دلالة على الثبوت كونها اسمًا -فيه دلالة على الجماعة الموصوفة بالكذب، وَعدّ الهدهدِ فردًا منها من هذه الصفة، وقد أشار الزمخشري (ت٥٣٨هـ) إلى هذا الضرب من التقابل ودلالته في الآية إذ يقول: ((وأرادَ أصدقت أم كذبتَ، إلاَّ أنَّ: كُنتَ مِنَ الكاذبين، أبلغ ؛ لأنَّهُ إذا كانَ معروفًا بالانخراط في سلك الكاذبين كانَ كاذبًا لا محالة، وإذا كانَ كاذبًا اتُّهِمَ

(٧٤) ينظر: سورة النمل: ١، و٢، و٨، و١٢ -٢٦.
(٧٥) ينظر: مفاتيح الغيب: ٢٥/ ٢٩.

بالكذبِ فيما أخبَرَ به فلم يُوثَقْ به))[٧٦].

وتوسع الطبرسي (ت ٥٤٨هـ) في تفصيل هذه النكتة بقوله: ((وهذا ألطفُ وألينُ من أن يقول: أم كَذَبْتَ؛ لأنه قد يكون مِن الكاذبين بالميل إليهم، وقد يكون منهم بالقرابة تكون بينه وبينهم، وقد يكون منهم بأن يكذب كما كذبوا...))[٧٧] وهو في كل ذلك يستلزمُ انتظامَهُ في سلك الموسومين بالكذب والمنخرطين فيه على وجه الرسوخ[٧٨].

أمّا ثنائية التوشيح الأخرى (صدقُوا≠ كاذبين) فقد عُطِفَ بين عنصريها المتضادين بـ (الواو) مع تكرار الفعل (يَعْلَمَنَّ) الذي ألِفَ مع حرفِ العطفِ نقطةَ الإرشادِ في بنية التوشيح، ويبدو أنَّ صورة حركة التمييز فيها قد تحصَّلت من حَمْل الفعل المذكور على معنى (يُمَيِّزَنَّ) والتقدير: ليمَيِّزَنَّ الصادقَ منهم من الكاذب[٧٩].

وجاءت الثنائية المذكورة مرة واحدة في القرآن الكريم في سياق:

- بيانِ فُتُونِ الله تعالى الناسَ واختبار حقيقة إيمانهم، والتمييز بين صدقهم في ذلك وكذبهم، وما يترتب على ذلك من وعد للصادقين ووعيد للكاذبين[٨٠].

قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ فَتَنَّا ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۖ فَلَيَعْلَمَنَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ صَدَقُوا۟ وَلَيَعْلَمَنَّ ٱلْكَٰذِبِينَ﴾[سورة العنكبوت: ٣].

وبنية التوشيح هنا تكونت من الدالين (صَدَقُوا) و(كاذبين) -وهما دالان متخالفان في المستويين السطحي والعميق- ونقطة الإرشاد (الاستدعاء) المتمثلة بحرف العطف -(الواو) -والمُسْنَد المكرر (يَعْلَمَنَّ).

وقد تقدم القول بشأن تخالف (الدالين المذكورين في المستويين السطحي والعميق في آية الهدهد، وما يعنينا هنا هو حركة ذهن المتلقي في بنية التوشيح المذكورة، ودلالة التباين بين الدالَّين، إذ نجد أنَّه ما إنْ يحضر الدالُّ الأوَّلُ (صَدَقُوا) في بنية

(٧٦) الكشاف: ٣/ ١٤٥.
(٧٧) مجمع البيان لعلوم القرآن: ٧/ ٤٠٢.
(٧٨) ينظر: إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم: ٥/ ٨١.
(٧٩) ينظر: الكشاف: ٣/ ١٩٦، والبحر المحيط: ٨/ ٣٣٩، وإرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم: ٥/ ١٤١.
(٨٠) ينظر: تفسير التحرير والتنوير: ٢٠/ ٢٠٥.

التوشيح -وهو صلةُ الموصولِ في موقعِ المفعوليةِ للفعل (يَعْلَمَنَّ)، فنقطة الإرشادِ المتمثلةُ بحرفِ العطفِ (الواو) والفعلِ المكررِ (يَعْلَمَنَّ) -حتى يقفز إلى الذهن دَالٌّ آخر مُتَوَقَّعٌ حُلُولُهُ مُوشِّحًا مطابقًا للدال الأول، أَلاَ وهو (وَلَيَعْلَمَنَّ الذين كذبوا) قبالة (لَيَعْلَمَنَّ الذينَ صَدَقُوا) على سبيل (إيهام التناسب) بسبب من التماثلات الإيقاعية، وعليه يكون الذهن قد وَقَعَ في دائرة هذا الإيهام، ولكن لَمَّا كانَ هذا الذهن قد طرقَتْهُ موسيقا الفاصلة ﴿يُفْتَنُونَ﴾ [سورة العنكبوت: ٢] التي سبقت فاصلة التوشيح في السورة، وهي فاصلة متماثلة الروي والوزن العروضي مع فاصلة التوشيح، فضلا عن التقارب معها في الردف -فإنَّ هذا الذهن سرعان ما يرصُدُ الفاصلةَ المناسبةَ لبنية التوشيح وهي (الكاذبين) بَدلا من (الذين كذبوا) المتَوَهَّمَة، ومعلومٌ أنَّ إيهام التناسب- هٰهنا -يُفْضِي إلى اختلاف في الدلالة، وقد أشار الرازي (ت ٦٠٦هـ) إلى هذه المسألة بقوله: ((وفي قوله ﴿ٱلَّذِينَ صَدَقُواْ﴾ بصيغةِ الفعل، و قوله (الكاذبين) باسم الفاعل فائدة مع الاختلاف في اللفظ أدلّ على الفصاحة، وهي أنّ اسم الفاعل يدلّ في كثير من المواضع على ثبوت المصدر في الفاعل ورسوخه فيه والفعل الماضي لا يدلّ عليه... واسم الفاعل يُفْهَمُ منه ذلك إذا ثَبتَ منه هذا فنقول: وقت نزول الآية كانت الحكاية عن قومٍ قريبي العهد بالإسلام في أوائل إيجاب التكليف، وعن قومٍ مستديمين للكفر مستمرين عليه فقال في حق المؤمنين: ((الذين صدقوا)) بصيغة الفعل أي وجد منهم الصدق، وقال في حق الكافر: (الكاذبين) بالصيغة المنبئة عن الثبات والدوام...))[٨١] وذهب إلى ذلك ابن عاشور (ت١٣٩٣هـ) فضلا عن إشارته إلى خِصِّيْصَى الموسيقا المنبجسة من الدال الآخر -وهو (الكاذبين) -المؤلف لبنية التوشيح، وعدّه ذلك من التفنن ورعاية الفاصلة[٨٢].

ومعلومٌ أنَّ الشكل الموسيقي للدال الثاني المقابل في بنية التوشيح وهو (الكاذبين) -الذي أَلَّفَ فاصلة في الآية-

(٨١) مفاتيح الغيب: ٢٥/ ٢٩

(٨٢) يُنظر: تفسير التحرير والتنوير: ٢٠/ ٢٠٦.

هو مُسْتَقَرُّ هذه البنيةِ وعِمَادُهَا، وهذه الخِصِّيْصَى الموسيقية لها أهمية كبيرة في تحقيق التواصل مَعَ النص القرآني والانسجام معه وتحقيق صحة توقع الذهن للشكل الموسيقي للدالِّ الآخر المقابل في بنية التوشيح ومن ذلك تنبجس الفائدة.

التوشيح بالتناظر

المقصود بالتناظر، التشابُه، والتماثُل. والنظيرُ: المِثلُ، وفلانٌ نظيرُ فلان أي مثله وشبيهه[٨٣]، والتناظر لدى البلاغيين هو التناسب أو المناسبة[٨٤]، أو التوفيق[٨٥]، أو مراعاة النظير[٨٦]، وحَدُّ ذلك هو: ((جَمْعُ شيءٍ إلى ما يناسبُ في نوعِهِ أو مما يلائمُهُ من أحد الوجوه))[٨٧] بشرط عدم التضاد[٨٨]. ومن شواهدهم على معنى التناسب أو مراعاة النظير، قوله تعالى: ﴿ٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ بِحُسْبَانٍ ۝٥ وَٱلنَّجْمُ وَٱلشَّجَرُ يَسْجُدَانِ﴾ [سورة الرحمن: ٥ -٦] فالشمس والقمرُ كلاهما من الكواكب وهما متناظران في ذلك، والنجم والشّجَر متناظران أيضاً من جهة كونهما نباتين، فالنجم: هو مالا ساق له من النبات، والشجر ماله ساق منه[٨٩].

أمّا التوشيح بالتناظر فيعني مجيء رُكنَي بنية التوشيح متناسِبَين دلالياً يتضمن أحدُهُما معنى الآخر بشرط أن تكون الدوال فيهما مختلفة في الشكل ومؤتلفة في المعنى غير متضادة، فإذا ما سَمِعَ المتلقي الركن الأول في البنية ووصل إلى نقطة الإرشاد (الاستدعاء) -وكان قد عَرَفَ بموسيقا الفواصل التي تقدمت البنية -عَرَفَ الركن الثاني الذي يؤلف فاصلةً فيها.

وقد وردَ هذا النمط من التوشيح في

(٨٣) ينظر: لسان العرب: ٥/ ٢١٩ (نظر).
(٨٤) ينظر: حسن التوسل الى صناعة الترسل: ٢٨٨ -٢٨٩، والمطوَّل شرح تلخيص مفتاح العلوم (لسعد الدين التفتازاني): ٦٤٤.
(٨٥) ينظر: شرح الكافية البديعية: ١٢٨، ومعجم المصطلحات البلاغية وتطورها (د. أحمد مطلوب): ٣/ ١٧٤ -١٧٥.
(٨٦) ينظر: شرح الكافية البديعية: ١٢٨، وخزانة الأدب وغاية الأرب: ٢/ ٣٣٥.
(٨٧) شرح الكافية البديعية: ١٢٨.
(٨٨) ينظر: المطوّل شرح تلخيص مفتاح العلوم: ٦٤٤.
(٨٩) ينظر: مجمع البيان لعلوم القرآن: ٩/ ٣٦٧-٣٦٨.

موضعين اثنين من القرآن الكريم وكان كلاهما قد انتظَمَا في سِمْطِ الجُمَلِ الاسمية.

تَضَمَّن التوشيح في الموضع الأول: (بعدًا عقائديًا) ارتبطت عناصر البنية فيه بـ(آصرة رسالية) تمثلت بثنائية التوشيح: (إنّ الله اصطفَى «آدم ونوحًا و... = العالمين») على حين تضمَّن التوشيح في الموضع الآخر (بعدًا تكوينيًا) ارتبطت العناصر فيه بآصرة (وجودية منظورة)، تمثلت بثنائية التوشيح: (الليل نسلخُ منه النهار= مُظْلِمُون). وقد جاء كل توشيح منهما على وفق صورة معيَّنة لحركة التقابل بين رُكني بنية التوشيح المتناسِبَين، والمتمثلة في الآتي:

١. التفضيل:

وردت هذه الصورة لحركة التقابل بالمتناسِبات، في ثنائية التوشيح (إنّ الله اصطفَى ((آدم ونوحًا و... = العالمين))، مرة واحدة في القرآن الكريم، وذلك في سياق:

- الاختيار والانتقاء، من خلال بيان عُلُو درجات الرُّسل وشرف مناصبهم، واختيار الله تعالى لهم على وَفق مخالفتهم لغيرهم من الناس في القوى الجسمانية المدرِكة والمُحَرِّكة والقوى الروحية الفعلية والنفسية(٩٠).

قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰٓ ءَادَمَ وَنُوحًا وَءَالَ إِبْرَٰهِيمَ وَءَالَ عِمْرَٰنَ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ﴾(٩١) [سورة آل عمران: ٣٣]..

تكونت بنية التوشيح بالتناظر -ههنا -من الركن الأول المتمثل بالجملة الاسمية المتضمنة تعديد الدوالِّ العَلَمِيَّةِ (آدم، ونوح، وآل إبراهيم، وآل عمران)، والركن الثاني المتمثل بالدال (العالمين)، ومعلومٌ أنَّ دوالَّ الركن الأول جاءت متباينةً مع دال الركن الثاني في المستوى السطحي أي من حيث صورة الألفاظ، فدوال الركن الأول أسماء أعلام، على حين كان الدال الآخر اسماً مشتقاً من العِلْم أو العَلَامَة وهو (العَالَمِين)، وهو في عُرف اللغةِ عبارة عن جماعة من العُقَلاء، أو نوع

(٩٠) يُنظر: مفاتيح الغيب: ٨/ ٢١.

(٩١) هي من شواهد فن التوشيح في كثير من كتب البلاغة ومنها: بديع القرآن: ٩٠، وتحرير التحبير: ١/ ٢٢٨، والمصباح في المعاني والبيان والبديع: ٢١٥، وخزانة الأدب وغاية الأرب: ٢/ ٢٠٤.

مما يَعْقِل كالملائكة والإنس والجن[٩٢].

والأولُ أكثرُ شهرة.

أمّا في المستوى العميق (المدلول) فنجد ثَمَّةَ توافقاً بين رُكني بنية التوشيح من جهة علاقة أسماء أعلام الأنبياء بالجنس الذي يتضمنهم وهو (العَالَمِيَّة)، إذْ أنّ كل فرد في التعديد المذكور ينضوي تحت هذا المفهوم، فكل هؤلاء هم من العالمين، ولكن في المستوى الأكثر عمقاً نجد تخالفاً بين ركني التوشيح إذْ أنَّ المذكورين -وإنْ كانوا بشراً من العالمين -غير أنَّهم ذُكِرُوا بوصفٍ مخصوصٍ جداً وهو النُبُوَّةُ، فكل هؤلاء أنبياء اصطفاهم الله من العالمين الذين هم غير أنبياء.

أمَّا حركةُ التوشيح بالتناظر فتبدأ من لفظ الاصطفاء، فتعديدِ أسماءِ الأنبياءِ وصولاً إلى حرف الجر (عن) الذي يمثل-ههنا -نقطة الإرشاد (الاستدعاء)، وعند هذه النقطة يحضر الدالُّ الآخرَ المقابلُ للتعديدِ بوصفه تقابُلَ تَنَاسُبٍ في الذهن بعد المعرفة التامة بموسيقا فواصل الآيات التي تقدمت بنية التوشيح نحو: ((كافرين)) التي أعقبتها مباشرة الآية المذكورة وفاصلتُها المتمثلةُ بـ(عالمين) التي ألَّفت الركن الثاني في التوشيح، إذْ وردَ كلاهما على الوزن العروضي (فاعِلان) فضلاً عن التماثل التام من جهة حرف الروي المتمثل بحرف (النون) وردفِهِ المتمثل بحرف (الياء) المدِّية.

ويُستفادُ من التوشيح في الآية المذكورة تعزيز ثقة المتلقي بصحة اختيار أولئك الصفوة من البشر ليكونوا رُسُلاً إلى العَالَمِين، وتلبية ذهن المتلقي بما توقّعه من مجيء فاصلة التوشيح على وَفْق الصورة المذكورة التي تعزّزُ في النفس حقيقة انتماء هؤلاء الأنبياء إلى جنس البشر (العالمين)، وأنَّهم لم يكونوا من جنس آخر من المخلوقات كالملائكة -مثلاً -وهو أمرٌ يبعث على الاستئناس والاطمئنان، كل ذلك قد تحقق من يقظة ذهن المتلقي وقدرته على استدعاء الدوال المتناسبة لتحقيق بنية التوشيح بالتناظر.

٢. التحوّل والصيرورة:

وردت هذه الصورة لحركة التقابل

(٩٢) ينظر: مجمع البيان لعلوم القرآن: ١/ ٣٤-٣٥.

بالمتناسبات في ثنائية التوشيح (... والليلُ نسلخ منه النهار = مظلمون) مرة واحدة في القرآن الكريم، وذلك في سياق:

- الاستدلال بالزمان الكليِّ على وجود مُبدعِ الكون: قال تعالى -وهو يقدّمُ آيةً من آياتِ الربوبية الدالة على وقوع التدبير السماوي العام للعالم الإنساني من خلال مفاجأة دخول الليل عقيب النهار[٩٣]: ﴿ وَءَايَةٌ لَّهُمُ ٱلَّيۡلُ نَسۡلَخُ مِنۡهُ ٱلنَّهَارَ فَإِذَا هُم مُّظۡلِمُونَ ﴾[٩٤] [سورة يس: ٣٧].

السَّلْخُ في هذه الآية هو الإخراج، ولذلك عُدِّي بـ(مِنْ)، ولو كانَ بمعنى النَّزْع لَتَعَيَّن تعديته بـ(عَنْ) دون (مِنْ)[٩٥]. والفرق بين (السلخ) و(الإخراج) ((أنّ السلخَ هو إخراجُ ظرفٍ أو ما يكونُ بمنزلة الظرف له، والإخراجُ عامّ في كل شيء وهو الإزالة من محيط أو ما يجري مجرى المحيط))[٩٦] ويبدو لي أنّ استعمال (السلخ) -ههنا -ليس على معنى عموم الإخراج، وإنما هو إخراجٌ مخصوص يدلّ على الاستنفاد التام للشيء، فكأنَّ خروج النهار من الليل -على وفق هذا الاستعمال-يكون خروجاً يستنفدُ به ضوءَه برُمَّتِه.

ويُلحظ أنّ بنية التوشيح في الآية المذكورة قد تكونت من الركن الأوّل المتمثل بدوال الجملة الاسمية ﴿ ٱلَّيۡلُ نَسۡلَخُ مِنۡهُ ٱلنَّهَارَ ﴾ والركن الثاني المتمثل بالدالّ (مُظْلِمُون)، أي بين (انسلاخ النهار) وبين (الظُلْمَة)، وعليه فإنَّ الركنين في البنية التوشيحية متخالفان في المستوى السطحي من جهة الصيغة، أمّا في المستوى العميق فنلحظ توافقًا واضحًا قد يصل إلى حد الترادف؛ لأنَّ انسلاخ النهار عن الليل يعني الظُلْمة، لأنَّه يكون قد ((خَرَجَ منه خروجًا لا يبقى معه شيء من ضوئه لأنّ النهار مُكوَّرٌ على الليل فإذا زالَ ضَوءُه بقي الليلُ غاسِقًا قد غشي الناس))[٩٧]، والذهن في بنية التوشيح بالتناظر يكون قد تَحَرَّكَ حركةً شعاعية أفقية انطلقتْ من

(٩٣) ينظر: الميزان في تفسير القرآن (الطباطبائي): ١٧/ ٨٩.
(٩٤) الآية من شواهد التوشيح في: بديع القرآن: ٩١، وتحرير التحبير: ١/ ٢٢٨.
(٩٥) ينظر: الميزان في تفسير القرآن: ١٧/ ٨٩.
(٩٦) الفروق اللغوية: ٣٣٧.
(٩٧) لسان العرب: ٣/ ٢٥ (سلخ).

معنى الركن الأول في البنية التوشيحية والمتمثل بـ(اللَّيْلُ نَسْلَخُ مِنْهُ النَّهَارَ) إلى نقطة الإرشاد -(الاستدعاء) -المتمثلة بـ(إذا هُم)، وعليه فإنَّه ما يلبث أن يستدعي في هذه النقطة مادة (الظُّلمَة)، ولكن لَمَّا كان لهذا الذهن معرفةٌ مسبقة بموسيقا فواصل الآيات المتقدمة على بنية التوشيح نحو: («مُحْضَرون»، و«يأكلون» و«نَ لْعُيُون»، و«يَشْكُرون» و«يَعْلَمُون»)[٩٨] -وهي كلها على الوزن العروضي (فاعِلان)، وأَنَّ رَوِيَّها جميعًا هو حرف النون المردوف بـ(الواو) المَدِّيَّةِ- فحينذاك تتضح معالم الفاصلة المناسبة وتتشكل مادة الظلمة على وَفَق موسيقا الفواصل المتقدمة فتكون (مُظلِمون) على التفعيلة العروضية (فاعِلان) وعلى الروي نفسه والردف ذاته، وإلى ذلك أشار ابن أبي الإصبع المصري قائلاً: ((فإنَّ مَنْ كانَ حافِظًا لهذه السورة مُتَفَطِّنًا إلى أنَّ مقاطِعَ آيِهَا النون المردوفةُ، وَسَمِعَ في صدر الآية انسلاخَ النهار من الليل، عَلِمَ أنَّ الفاصلةَ تكونُ (مُظلِمون)، لأنَّ مَنْ انسلَخَ النهارُ عن ليلِهِ أظلَمَ، أي دَخَلَ في الظُّلُمات ما دامت تلك الحال؛ والله أعلم))[٩٩].

ويُستفاد من التوشيح في الآية المذكورة إيصال ذهن المتلقي إلى صحة توقع استدعائه للمسَبَّب المتمثل في الدال الآخر في بنية التوشيح وهو (مُظْلِمُون) المُؤَلّف فاصلةً في الآية، بعد معرفة المُسَبِّب المتمثل في الدال الأول في البنية المذكورة وهو ﴿ٱلَّيۡلُ نَسۡلَخُ مِنۡهُ ٱلنَّهَارَ﴾ فضلاً عن معرفة موسيقا فواصل الآيات السابقة التي تُيَسِّرُ على الذهن معرفةَ الشكل الموسيقي للركن الثاني من بنية التوشيح.

الخاتمة

من أهم النتائج التي كشف عنها البحث الموسوم بـ(التوشيح -دراسة بلاغية في تقنيات الأسلوب القرآني)، ما يأتي:

- توضيح حدود بنية التوشيح، والتفريق بينها وبين بعض البُنى البديعية التي تتشابه معها إلى حد ما وأخصُّ منها: (الإرصاد) أو (التسهيم)، و(التصدير)، بعدما تداخلت الشواهد

(٩٨) ينظر سورة يس: فواصل الآيات: ٣٢-٣٦.

(٩٩) بديع القرآن: ٩١.

التطبيقية لهذه الفنون لدى جمهرة من البلاغيين.

- يُعدُّ التوشيح ظاهرةً أسلوبيةً حظي بها القرآن الكريم مثلما حظي بها الشعر أيضاً، لكنَّ حَظّ الشعر منها كان وافِراً إذا ما قيسَ بحظِّ القرآن منها، ويبدو أنّ السبب في ذلك يعودُ إلى حاجة القرآن الأسلوبية إليها للتعبير عن بعض الصور والمشاهد والمواقف وإلى خَصُوصِيَّةِ الشعر الموسيقية التي يُبنى على أساسها الشعر نفسه، وهذه السمة هي الأساس في تكوين بنية التوشيح، ولمّا كانت الفاصلة القرآنية تُمَثّلُ القرارَ الموسيقيَّ للآية الكريمة، لذا نجدها قد أَلَّفت الركن الثاني في البنية المذكورة.
- -إنّ موسيقا القوافي في الشعر، والسّجع في النثر، والفواصل في القرآن، ليست هي وحدها مَن يُؤلِّف بنيةَ التوشيح -على وفق ما فهمناه من تعريفات بعض أرباب البلاغة -بل إنَّ ثَمَّةَ مناسبة دلالية تربط بين دَالَّي التوشيح هي التي تُحَقِّقُ هذه البنية، فَضْلاً عن نقطة الإرشاد أو الاستدعاء التي تُهيِّءُ الذهن لتوقع الدال الثاني وشكله، وما الموسيقا إلاّ عامِلٌ يساعد الذهن على صحة التوقُّع.
- إنَّ لوزن القافية في الشعر والفاصلة في القرآن أهميةً كبيرةً في تشكيل بنية التوشيح في ذهن المتلقي، فَضْلاً عن موسيقا الروي وَرِدْفِهِ.
- إنَّ التفعيلة العروضية (فاعِلان)-بما يطرأ عليها من تغييرات -هي المرتكز الأساس الذي اعتمدت عليه الفواصل القرآنية بعامَّة، والفواصل المحيطة بالبنية التوشيحية في السورة بخاصَّة، وقد أَلَّفَتْ نسبةُ ورودِها في الشواهد القرآنية في هذا البحث ما يقرب من ٨١. ٢٥٪.
- أَسَّسَ البحثُ لنوعين من التوشيح في القرآن الكريم وهما: التوشيح بالتضاد، والتوشيح بالتناظر، ولم يكن لهذين القسمين ذكر لدى المصنِّفين والباحثين من قَبْلُ.
- إنّ فنّ التوشيح قد يتضمَّنُ أكثر من أسلوب مِن أساليب البلاغة، نحو

(الطباق) كما في (التوشيح بالتضاد)، وأسلوب (التناسب أو مراعاة النظير) كما في التوشيح بالتناظر، وائتلاف القافية والمعنى، كما في علاقة موسيقا الفواصل ببنية التوشيح، وأسلوب الاستعارة المكنيَّة كما في آية سلخ النهار ﴿ وَءَايَةٌ لَّهُمُ ٱلَّيۡلُ نَسۡلَخُ مِنۡهُ ٱلنَّهَارَ ﴾ [سورة يس: ٣٧]. وأسلوب التعديد المتمثل في قوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصۡطَفَىٰٓ ءَادَمَ وَنُوحٗا وَءَالَ ... ﴾ [سورة آل عمران: ٣٣]. وهذا التآزر الأسلوبيُّ هو الذي يمنح النص قوةً ولُحْمَةً وتأثيراً وانسجاماً وجمالاً دفعةً واحدة.

- إنّ مثولَ أحد الركنين المتقابلَين المتضادين فاصلةً في الآية، يؤلِّفُ أسلوباً توشيحياً بلا ريب، وهو ما أثْبتُّهُ إحصاءً في متن البحث من خلال الشواهد القرآنية وهو ما يضع حدودًا فاصلةً بين بنية هذا الأسلوب والبُنى البديعية الأخرى التي تتجاذب معه المشابهة، وحسب هذا الأسلوب تميُّزًا وتفرُّدًا مجيء التقابلات فيه متضادة أو متناظرة ذات دلالة تضمُّنِيَّةٍ وتلازُمِيَّة، على حين نجد أنَّ العناصر المتقابلة المؤلِّفة لبنية الإرصاد أو التسهيم أو التصدير هي عناصر ذات خِصِّيْصَى تكراريةٍ في المستويين السطحي والعميق، ولم أجدْ من أشار إلى هذا الفارق في ما تيسّر لي من مصادر.

- للتوشيح في القرآن الكريم -مثلما لبعضِ فنون البديع -وظائفُ جماليةٌ، ونفسيّةٌ، ودلالية (معنوية)، فأمَّا الجمالية والنفسية فنستشعرهما من تلك التماثلات الموسيقية لفواصل السور المختلفة، وهي خَصُوصِيَّةٌ تُنْبِئُ المتلقي عن الهيئة المتوقعة لبنية الدالّ الآخر المُقابل في بنية التوشيح، والظفر به في الذهن قبل الوصول إليه، وهو الأمر الذي يتحقق من خلالِهِ التواصل الذهني والنفسي مع النصّ إجمالاً، بكل نشاطٍ، وثقةٍ، ونشوةٍ، ومُتْعَة.

وأمّا الوظيفة المعنوية، فنجدها منبَجِسةً من حركة الذهن وتَنَقُّلِهِ بين المستويين: السطحي، والعميق للعنصرين المتقابلين في بنية التوشيح -فَضْلاً عن منطقة تحفيز

الذهن لِمَا هو مُتوقَّع من الدوال المُوشِّحة، والمتمثلة بنقطة (الإرشاد = الاستدعاء)، وإخضاع كل ذلك للوصف والتحليل اللغويَّيْن من أجل الوصول الى المعنى المقصود وظلالاته.

ومن ذلك كلِّه -فضلاً عمَّا تقدَّم من النتائج الأخرى -نخلصُ الى أنَّ فَنَّ التوشيح لَمْ يَكُ مَمْحُوضاً للحِليةِ وزُخرُفِ الكلام حسب، وإنّما وَجدنا في أثنائِهِ حُزَماً من الدلالات وظلالاتها وهي تتلاحم مع المعطيات الموسيقية للنّص القرآني (صوتاً، وصرفاً، وعَرُوضًا)، لِتُؤلِّفَ بذلك ظاهرة أسلوبيةً منمازةً استأهلت أن يحظى بها القرآن.

أهم المصادر والمراجع

القرآن الكريم

- (إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم = تفسير أبي السعود) للقاضي أبي السعود محمد العمادي الحنفي (ت٩٨٢هـ) -وضع حواشيه عبد اللطيف عبد الرحمن، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت -لبنان (١٤١٩هـ=١٩٩٩م).
- (أنوار التنزيل وأسرار التأويل = (تفسير البيضاوي) للإمام ناصر الدين البيضاوي (ت٧٩١هـ)، ط١، دار الكتب، بيروت -لبنان، ج٢ (١٤٠٨هـ = ١٩٨٨م).
- (الإيضاح في علوم البلاغة) لقاضي القضاة جلال الدين بن محمد المعروف بـ(القزويني) (ت٧٣٩هـ)، تحقيق وتعليق لجنة من أساتذة كلية اللغة العربية بالجامع الأزهر -أعادت طبعه بالأوفسيت مكتبة المثنى ببغداد، ومطبعة السنة المحمدية (د. ت).
- (البحر المحيط في التفسير) لمحمد بن يوسف الشهير بأبي حيّان الاندلسي الغرناطي (ت ٧٥٤هـ) -طبعة جديدة بعناية: صدقي محمد جميل، دار الفكر، بيروت -لبنان (١٤١٢هـ= ١٩٩٢م).
- (بديع القرآن) لابن أبي الإصبع المصري (ت٦٥٤هـ)، تقديم وتحقيق: د. حفني محمد شرف، ط٢، دار نهضة مصر للطبع والنشر، الفجالة -القاهرة (١٣٩٢هـ=١٩٧٢م).

- (تفسير التحرير والتنوير) للإمام الشيخ محمد الطاهر (ابن عاشور) (ت١٣٩٣هـ)، د. رقم طبعة، دار سحنون للنشر والتوزيع، تونس (١٩٩٧م).
- (الجامع لأحكام القرآن) لأبي عبد الله محمد بن أحمد القرطبي (ت ٦٧١هـ)، تحقيق د. عبد الحميد هنداوي، د. ط، المكتبة العصرية، بيروت -لبنان (١٤٣٠هـ=٢٠٠٩م).
- (شذا العَرْف في فن الصرف) للشيخ أحمد الحملاوي (ت١٣٥١هـ)، مكتبة النهضة العربية -شارع السعدون - بغداد (د. ت).
- (شرح البديعية المسمَّاة بـ((الفتح المبين في مدح الأمين) للعالمة عائِشة الباعونية (ت ٩٢٢هـ)، تقديم وتحقيق: د. رضا رجب، ط٢، دار رند للطباعة والنشر، دمشق (٢٠١٠م).
- (الطراز، المتضمن لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز) ليحيى بن حمزة علي بن إبراهيم العلوي اليمني (ت ٧٤٩هـ)، دار الكتب الخديوية، مطبعة المقتطف، مصر (١٣٣٢هـ=١٩١٤م).
- (الفروق اللغوية)، لأبي هلال العسكري (ت بعد ٣٩٥هـ)، تعليق، ووضع الحواشي محمد باسل عيون السود، ط٢، دار الكتب العلمية، بيروت -لبنان (١٤٢٤هـ=٢٠٠٣م).
- (في ظلال القرآن) لسيد قطب، ط٧، دار إحياء التراث العربي، بيروت - لبنان (١٣٩١هـ = ١٩٧١م).
- (قاموس الموسيقى العربية) د. حسين علي محفوظ، الجمهورية العراقية، وزارة الاعلام، دار الحرية للطباعة، بغداد (١٩٧٧م).
- (الكافي في العروض والقوافي)، لابن الخطيب التبريزي (ت ٥٠٢هـ)، تحقيق: حميد حسن الخالصي، مطبعة شفيع، بغداد (١٤٠٢هـ=١٩٨٢م).
- (الكامل في العروض والقوافي) لمحمد قناوي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر (١٩٧٣م).
- (كتاب «الصناعتين»)، لأبي هلال العسكري (ت بعد ٣٩٥هـ) تحقيق: علي محمود البجاوي، ومحمد أبي

الفضل إبراهيم، ط٢، دار الفكر العربي (د. ت).

- (كتاب «القوافي») لأبي الحسن سعيد بن مسعدة الأخفش (ت ٢١٠هـ) تحقيق: عزة حسن، مطبعة مديرية إحياء التراث، دمشق (١٩٧٠م).
- (الكشَّاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل)، لأبي القاسم جار الله محمود بن عمر الزمخشري الخوارزمي (ت٥٣٨هـ)، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع (د. ت).
- (لسان العرب)، لأبي الفضل جمال الدين محمد بن مكرم (ابن منظور الإفريقي) (ت ٧١١هـ)، دار صادر بيروت (د. ت) وهي نسخة من تلك المطبوعة في بيروت سنة (١٣٧٤هـ=١٩٥٥م).
- (مجمع البيان لعلوم القرآن)، لأبي الفضل بن حسن الطبرسي (ت٥٤٨هـ)، نشر رابطة الثقافة والعلاقات الإسلامية -مطبعة الهدى، طهران -إيران (١٤١٧هـ=١٩٩٧م).
- (معجم البلاغة العربية) د. بدوي طبانة، ط٤، دار المنارة للنشر والتوزيع (جدّة)، ودار ابن حزم (بيروت-لبنان) (١٤١٨هـ=١٩٩٧م).
- (معجم المصطلحات البلاغية وتطورها) د. أحمد مطلوب، د. ط، مطبعة المجمع العلمي العراقي، بغداد (١٤٠٣هـ=١٩٨٣م).
- (مفاتيح الغيب = التفسير الكبير)، لفخر الدين الرازي (ت٦٠٦هـ)، نشر: مكتب الإعلام الإسلامي، مطبعة مكتب الإعلام -إيران (١٤١٣هـ).
- (المفردات في غريب القرآن)، للراغب الأصفهاني (ت٤٢٥هـ)، تحقيق وضبط: محمد خليل عيتاني، ط٤، دار المعرفة -بيروت -لبنان (١٤٢٦هـ=٢٠٠٥م).